

[illegible]

تفسير قاضي جزء عم سورة النبأ تمامه
حافظ ١٢٦

٥١





سامسونلي حاجي محمد افندينك
طيفور افندي يدندن اخذ اولنمشدر
مع سائر كتاب
محمد ٨
١٢٢١



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون نزل الكتاب نسخه
للعالمين نذيرا فتحدى باقصر من سورة مصاقع
الخطباء من العرب العرباء وعجزهم تعجيزا
وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان
وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا
ثم بين للناس ما نزل اليهم حسب ما عن لهم من مصالحهم
ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب
تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن ايات
محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز
الخطاب تأويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقايق
ولطايف الدقايق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت
وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا
ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها
من نصوص الايات والماعها ليذهب عنهم
الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او
القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد

وسعيد

لهم صح

وسعيد ومن لم يرفع اليه رأسه واطفأ نبراسه
يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود
ويا فايض الجود ويا غاية كل مقصود صل
عليه صلوة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى
وعلى من اعانه وقرر بيانه تقريرا وافض علينا
من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم
علينا وعليهم تسليما كثيرا وبعد فان اعظم العلوم
مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير
الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى
قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي
للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها
وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون
الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي
بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة
ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن
دونهم من سلف الصالحين وينطوي على نكت
بارعة ولطائف رايعة استنبطتها انا ومن قبلي من
افاضل المتأخرين واماثل المتأخرين المحققين
ويعرب عن وجوه القراءة المعزية الى الائمة الثمانية

نافع ابن كثير ابو عمرو ابن عامر عاصم حمزة كسائي يعقوب

المشهورين والقراءات الشاذة والشواذ المروية عن القراء المعتبرين
الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن
الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة
ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان لما قصدته
ناويا ان اوسمه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار
التاويل فها انا الان اشرع وبحسن توفيقه اقول
والله هو الموفق لكل خير ومعطي لكل مسئول
سورة فاتحة الكتاب وتسمى ام القران لانها مفتتحه ومبدؤه فكانها
اصله ومنشاه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل
على ما فيه من الثناء على الله والتعبد بامره ونهيه وبيان
وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية
والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم و
والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة
الكنز والكافية والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد
والشكر والدعا وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة
لوجوب قراتها واستحبابها فيها والشافية والشفا لقوله صلى
الله عليه وسلم هي شفاء لكل داء ولهذا تقرا لدفع المرض
والسبع المثاني لانها سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم
من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس

وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت
الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح انها مكية
لقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص
بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة
وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي رحمه الله وخالفهم
قراء المدينة والشام والبصرة وفقهاؤها ومالك والاوزاعي
ولم ينص ابو حنيفة رحمه الله فيه بشيء فظن انها ليست من
السورة عنده وسئل عن محمد بن الحسن عنها فقال ما بين
الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو
هريرة رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام قال فاتحة الكتاب
سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة رضي
الله عنها قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن
الرحيم الحمد لله رب العالمين اية ومن اجلهما اختلف في انها
اية برأسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله
والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القران
حتى لم يكتب امين والباء متعلق بمحذوف تقديره بسم الله
اقرا لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل
التسمية مبدا له وذلك اولى من ان يضمر ابدا لعدم ما
يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول

هاهنا اوقع كما فى قوله بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه
اهم وادل على الاختصاص وادخل فى التعظيم واوفق للوجود
لان اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل الله الة لها
من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه
تعالى لقوله عليه السلام كل امر ذى بال لم يبدا فيه بسم الله
فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله
اقرا وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك
باسمه ويحمد على نعمه ويسال من فضله وانما كسرت ومن حق
الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما
كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل
بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء التى
حذفت اعجازها كيد ودم لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها
على السكون وادخل عليها مبتدا بها همزة الوصل لان من دابهم
ان يبتدوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه
على اسماء واسامى وسمى وسميت ومجى سمى كهدى لغة فيه قال
الشاعر والله اسماك سمى مباركا اثرك الله به ايثاركا والقلب
بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له
ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم فحذفت الواو وعوضت
عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة

على

على ما حذف صدره فى كلامهم ومن لغاته سم وسم
قال الشاعر باسم الذى فى كل سورة سمه والاسم ان
اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتالف من اصوات مقطعة
غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة
ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك واذا اريد به ذات الشى فهو المسمى
لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى تبارك اسم ربك المراد به
اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته عن النقايص
يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء
الادب والاسم فيه مقحم كما فى قول الشاعر الى الحول ثم
اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
وان اريد به الصفة كما هو رأى الشيخ ابى الحسن
الاشعرى انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس
المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما
قال بسم الله لم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر
اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف
على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا
والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوضت عنها الالف واللام
ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود
بالحق والاله يقع فى اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود

الهمزة صح

فى الاصل يقع على كل معبود صح

بالحق واشتقاقه من أَلَهَ إلاهة وأُلوهة وألوهية بمعنى
عبد ومنه تأله واستأله وقيل من أَلِهَ اذا تحير اذ
العقول تتحير في معرفته او من ألهت الى فلان اى
سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن
الى معرفته او من أَلِهَ اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره
اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه
او من أَلِهَ الفصيل اولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع
اليه بالشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله كان
وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة
عليها استثقال الضم في وجوه وقيل [illegible] ويرده
الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه
ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك
الابصار ومرتفع عن كل شيء وعما لا يليق له ويشهد له
قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار
وقيل علم للذات المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لابد له من اسم ولا بد
يجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه
لو كان وصفا لم يكن قوله لا اله الا الرحمن فلذا لا يمنع
المشركة والحق انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث
لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق قد اجرى

مجراه

قوله لا اله الا الله توحيد ا صح

بجراه في اجرى الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق
احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو هو بلا اعتبار امر اخر
حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ
ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة لما افاد ظاهر قوله وهو
الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون
احد اللفظين مشاركا للاخر في المعنى والتركيب وهو حاصل
بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية
فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم
لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف
الفه لحن تفسد الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين
وقد جاء لضرورة الشعر الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله
بارك في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة
من رحم كغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة
رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه
الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ
باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون
انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء
تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع وكبار وكبار وذلك
انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية

ط لانه يختص بالمؤمن وعلى الثانى قيل يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا صح

ط رحمن الدنيا والاخرة

فعلى الاول قيل قيل يا رحمن الدنيا و رحيم الاخرة
لا
لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية
فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضى الترقى من الادنى
الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث
انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقى البالغ
فى الرحمة غايتها وذالك لا يصدق على غيره لان من عداه
فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب
او جميل ثنا او يزيل رقة الجنسية او حب المال عن القلب
ثم انه كالواسطة فى ذالك لان ذات النعم ووجودها والقدرة
على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع
بها والقوى التى بها يحصل الانتفاع الى غير ذالك من
خلقه لا يقدر عليها احد غيره ولان الرحمن لما دل على جلايل
النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها به فيكون
كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤوس الاى و
والاظهر انه غير مصروف وان اختص اختصاصه بالله
ان يكون له مونث على فعلى و فعلانة الحاقا بما هو الغالب
فى بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان الاسماء
المستحق لان يستعان به فى مجامع الامور هو المعبود
الحقيقى الذى مولى النعم كلها عاجلها واجلها جليلها

او

وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك
بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره
الحمد هو الثناء بالجميل الاختيارى من نعمة او غيرها
والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا
على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته
وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا
واعتقادا قال افادتكم النعماء منى ثلثة يدى ولسانى
والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من اخر
ولما كان الحمد من شعب الشكر والعمدة اشيع للنعمة
وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما فى اداب الجوارح
من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه وقال
عليه الصلوة والسلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من
لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه
بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما
عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون
تجدده وحدوثه وهو من المصادر التى تنصب بافعال مضمرة
لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة
الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو وقيل للاستغراق اذ
الحمد فى الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه

بالاسم

بوسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار
بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من
كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام و
بالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما تستعملان
معا منزلة كلمة واحدة لله رب العالمين الرب في الاصل
التربية وهي تبليغ الشي الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف
به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من قوله
ربه يربه فهو رب كقوله نم ينم فهو نم سمي
المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره
تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم
به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل
ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها
الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته
من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه
بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي
العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم
على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس هنا فان كل
واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم
الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم

بما

بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما قال
وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين
بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه
الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة
الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال
بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره
مالك يوم الدين قرأه عاصم والكسائي ويعقوب
ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك يوم الدين وهو المختار
لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من
التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف
يشاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في
المامورين من الملك وقرئ ملك وملك بلفظ الفعل ومالكا
بالنصب على المدح او الحال وبالرفع منونا او مضافا ومالك
على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب
ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل
الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق
الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة

ونادى اصحاب الجنة او لمن الملك فهذا اليوم على وجه الاستمرار
ليكون الاضافة حقيقية مقيدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل
الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين و
تخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده
تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله
تعالى من كونه رب العالمين موجدا لهم منعما عليهم
بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها واجلها مالكا
لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق
بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان
ترتب الحكم على الوصف يشعر بعلية له وللاشعار من
طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات
لا يستأهل لان يحمد فضلا ان يعبد ليكون دليلا
على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد
وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على
انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه الايجاب
بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق
به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل
الشركة فيه وتضمن الوعد للحامدين والوعيد
للمعرضين اياك نعبد واياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد
الحقيق

ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذات
تعلق العلم بمعلوم معين فخوطب بذلك اى يا من هذا شانه
نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص
وللترقى من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة
الى الشهود وكان البرهان صار عيانا والمعقول مشاهدا والمعلوم
والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادى
حال العارفين من الذكر والفكر والتامل فى اسمائه
والنظر فى الائه والاستدلال بصنايعه على عظم شانه
وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان
يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه
عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين
الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب
التفنن والعدول من اسلوب الى اخر تطرية له فى الكلام وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة
ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى
حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقوله والله
الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقوله
امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام
الخلى ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذى العائر

الارمد وذالك من نبا جاءنى وخبرته عن ابى
الاسود واياضمير منصوب منفصل وما يلحقه من
الياء والياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم
والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء فى انت
والكاف فى ارايتك وقال الخليل اذ يبايك ايا مضاف اليها
فاحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين
فاياه واياالشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هى الضمائر
واياعمدة فانها فصلت عن العوامل تعذر النطق بها
مفردة فضم اليها ايا ليستقل به وقيل هو الضمير هو المجموع
وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة
اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اى
مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان فى غاية الصفاقة و
لذلك لا تستعمل الا فى الخضوع لله تعالى والاستعانة
طلب المعونة وهى اما ضرورية او غيرها والضرورية اذ يوصف الرجل بالاستطاعة صح
ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول
الة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يصح ان يكلف
بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويتسهل
كالراحلة فى السفر للقادر على المشى او يقرب الفاعل الى
الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة

التكليف والمراد طلب المعونة فى المهمات كلها او فى اداء
العبادة والضمير المستكن فى الفعلين للقارئ ومن معه
من الحفظة وحاضرى صلوة الجماعة اوله ولسائر الموحدين
ادرج عبادته فى تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته
بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب اليها ولهذا شرعت
الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة
على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنه معناه
نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم فى الوجود
والتنبيه على ان العابد ينبغى ان يكون نظره الى المعبود اولا
وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت
عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه
وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق
فى ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ
نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له
ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله تعالى عن حبيبه
حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه
حيث قال ان معى ربى سيهدين وكرر الضمير
للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة
على الاستعانة ليوافق رؤس الاى ويعلم منه ان تقديم

الوسيلة على طلب الحاجة ادعى للاجابة واقول لما نسب
المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبججا واعتدادا منه
لما يصدر منه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على
العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب الا بمعونة منه وتوفيق
وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر
النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف
المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها اهدنا
الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف
اعينكم فقالوا اهدنا وافراد لما هو المقصود الاعظم
والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله
فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها
والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل
معه معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه
وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر
في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء
من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة
والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق
والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه
النجدين وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى

والثا

والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله
وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي
للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم
الاشياء كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة
وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى
بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله
وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب
اما زيادة ما منحوا من الهدى والثبات عليه او حصول
المراتب المترتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى
به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا
وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك
والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء
والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام
اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما
لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء
في الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب
الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس
عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون
بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه
مصاحف عثمانية

رط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم
المستوى والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام
صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل
من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود
بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين
هو المشهود به بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل
كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء
فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل
الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى
عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من
انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة
التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة
وهي اللذين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها فهي تنحصر في جنسين دنيوي واخروي
والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني
كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى
كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى
الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضا
والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق

والملكات

رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت
جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن
لا يخلد في النار لان توفيته ايمانه وعمله لا يكون في النار
ولا قبل دخولها فاذا هو بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير
لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض
من ياء ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها *اصله يا الله فحذف الياء وعوض الميم المشددة اعطى*
عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله
يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل
وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف
الملوك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده في اللهم تمنع
الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها
ما تشاء ممن تشاء وتسترد فالملك الاول عام والاخران بعضان
منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم
وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر
والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء
قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض
اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعات الادب
في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه الصلاة و
السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة من الصحابة

اربعين ذراعًا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة
لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق
منها برق اضاء ما بين لابتيها فكان مصباحًا في جوف بيت
مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور
الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية
وبرق منها برق اضاء منه فقال اضاءت لي منها القصور الحمر
من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال القصور تهامة صنعاء
واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون
الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من
يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق
من الفرق فنزلت ونبه على ان الغربتيه بقوله انك على كل شيء
قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من
الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب الله ذلك
ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة
فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذلة
والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في معنيين
وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او الزيادة
والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات

من

من موادها واماتتها وانشاء الحيوانات من النطفة والنطفة
منه وقيل اخراج الكافر والكافر من المؤمن وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنين
الكافرين نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما
حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم
في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة
الى انهم احق بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة
الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء اي
من ولايته في شيء يصح ان يسمى ولاية فان ولاية المتعاديين
لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس
النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا
من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء الفعل معدى بمن لانه
في معنى تحذروا وتخافوا وقرا يعقوب تقية منع عن موالاتهم
ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان
اظهار الموالات حينئذ جايز كما قال عيسى عليه السلام كن
وسطا في المكان وامش جانبا ويحذركم الله نفسه
والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه
وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في
القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه

فلا يؤذيه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم
او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها
ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم
والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم
والاية بيان لقوله ويحذركم نفسه وكانه قال ويحذركم
نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها
وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه
اذ ما من معصية الا وهو الله مطلع عليها قادر على العقاب
بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس
يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر
حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا وبمضمر
نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت
من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية
لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية
ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة
المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتاكيد والتذكير والله
رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة
بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب

فترجى

فترجى رحمته وتخشى عذابه قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال
ادركه فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه فهو
من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله والعبد
اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما
يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبا
الله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك
يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذا
فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة
لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض
عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز
عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه وجوار
قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة
او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب بطاعته
واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود
نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد
نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل
في اقوام زعموا على عهده عم انهم

يحبون الله ورسوله فأمروا ان يجعلوا لقولهم
تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول
فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان
تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى
عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد
العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية
ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة للمؤمنين
ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال
عمران على العالمين بالرسالة والخصايص الروحانية
والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما
اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبته
الله تعالى عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا
عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة
وال ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد
دخل فيهم الرسول عم وال عمران موسى وهرون
ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن
يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان
بن ابيعازاد بن ابي يوذ بن ازب نابل بن سالتان
بن يوحنا بن مايد بن اوشا بن اموذ بن منشكن

بن

بن حازقا بن اجاد بن يونام بن عزريا بن يورام بن
ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود
بن ايش بن عويد بن سلمون بن باعز بن نحشون
بن عمياد بن رام بن حصروم بن فارض بن يهودا
ابن يعقوب وكان بين عمرانين الف وثمانمائة
سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من
الالين او منهما او من نوح اي انهم ذرية واحدة
متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض
في الدين والذرية الولد تقع على الواحد والجمع
فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت
همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع
عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان
مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عليم
بنيتها اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك
ما في بطني فينتصب به على التنازع وقيل نصبه
باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى عم
وكانت لعمران بنت يصهر بنت اسمها مريم
اكبر من هرون فظن ان المراد زوجته ويرده
كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج

بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى عم ابنى خالة من
الأب محررا معتقا لخدمته لا اشتغل بشى او
مخلصا للعبادة ونصبه على الحال روى انها كانت
عاقرا عجوزا فبينا هى فى ظل شجرة اذ رأت طايرا
يطعمه فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت
اللهم ان لك علىّ نذرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق
به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت
وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا فى عهدهم
فى الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت
ذكرا فتقبل منى ما نذرته انك انت السميع
العليم لنيتى وبقولى فلما وضعتها قالت رب
انى وضعتها انثى الضمير لما فى بطنها وتانيثه
لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه
لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات
واحد او على تاويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما
قالت تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو
ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم
بما وضعت اى بالشئ الذى وضعت وهو
استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا

لها

لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب
وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل الله
فيه سرا والانثى كان خيرا وقرئ وضعتِ على انه خطاب
الله لها وليس وليس الذكر كالانثى لقوله تعالى
والله اعلم اى ليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى
وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون
من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان
فيما نذرت فيكون اللام للجنس وانى سميتها
مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما
بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا
لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا
مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة
وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور
متغايرة وانى اعيذها وانى اعيذها بك اجيرها
بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود
واصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى عم ما من
مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل
من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان
يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم

وابنها فان الله تعالى عصمها ببركة هذه الا
ستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها
في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه
حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام
الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل
ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها
لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها
عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم
وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس
بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا
احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا
سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا
فيه اقلامهم فطفى قلم زكريا ورسبت اقلامهم
فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير
مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل
بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها
في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها
نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع

احوالها

احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي
وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن
عياش ابي بكر على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول
اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف
الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا كلما دخل عليها زكريا
المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد
او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل
محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع
من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب
كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره
واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان
يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف
وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين
لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب
مغلقة عليك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء
وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه
الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد
قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا
قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله

يرزق من يشاء بغير حساب بغير
تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به
فهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون
من كلام الله روى ان فاطمة رضي الله عنها
اهدت لرسول الله رغيفين وبضعة لحم
فرجع بها اليها وقال يا بُنَيَّة هلمي فكشفت
عن الطبق فاذا هو مملو بخبز ولحم فقال
لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال
الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء
بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين
وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هو فاوسعت
على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان
او الوقت اذ يستعمل هنا وثم وحيث للزمان
لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب
هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها
لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير
اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من
الشيخ فسأل وقال هب لي من لدنك لانه لم

يكن

وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على
ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح
ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت
في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح
جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى
بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين
وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء
لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة
والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم
هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من
الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله ذلك بالا
ضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته
لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الاخرة
وانما اخبرهم به ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من
الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن
الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم
رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن
الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى

الملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون حمدك واسترجع
فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه
بيت الحمد **وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة
قالوا انا لله وانا اليه راجعون** الخطاب للرسول ولمن
يتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من
مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له
مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب
بتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه وبتذكر نعم
نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده
منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف
دل عليه **اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة** الصلاة
في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه
على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة
جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا
يرضاه **واولئك هم المهتدون** للحق والصواب حيث
استرجعوا وسلموا لقضاء الله **ان الصفا والمروة**
هما جبلان بمكة **من شعائر الله** من اعلام مناسكه
جمع

جمع شعيرة وهي العلامة **فمن حج البيت او اعتمر** الحج في اللغة
القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته
على الوجهين المخصوصين **فلا جناح عليهما ان يطوف بهما**
كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية
اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج
المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه
مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد
انه سنة وبه انس وابن عباس لقوله تعالى فلا جناح
عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح
يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي
حنيفة رضي الله عنه انه واجب يجبر بالدم وعن مالك
والشافعي رضي الله عنهما انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا
فان الله كتب عليكم السعي **ومن تطوع خيرا** اي فعل
طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض الله عليه من
حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا
نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال
الفعل اليه او بتعديته الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل
وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع
فادغم مثل يطوف **فان الله شاكر عليم** مثيب على الطاعة

لا يخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من
البينات كالايات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه
والهدى وما يهدى الى وجوب اتباعه والايمان به من
بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التوراة اولئك
يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اى الذين يتاتى منه اللعن عليهم
من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر
ما يجب ان يتاب منه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك
وبينوا ما بين الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه
من التوراة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدى بهم
اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب
الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار اى من لم يتب من الكاتمين حتى
مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنته من
خلقه وقيل الاول لعنهم احيا وهذا لعنهم امواتا وقرئ وا
والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في
المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر
نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اى في اللعنة او النار
واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفا

بدلالة

بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
اى لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم
نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام اى المستحق منكم
العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها لا اله
الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود
الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليه
فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه
اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما
خبران اخران لقوله الهكم او المبتدا محذوف قيل لما سمعه
المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية يعرف
بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض وانما جمع
السموات وافراد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات
مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار
تعاقبهما لقوله تعالى جعل الله الليل والنهار خلفة والفلك
التي تجري في البحر بما ينفع الناس اى بنفعهم او بالذى
ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص
الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجايبه
وكذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر
غالبا وتانيث الفلك لانها بمعنى السفينة وقرئ

بضمتين على الاصل او الجمع وضمته بالجمع غير ضمة الواحد
عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من
الاولى للابتدائية والثانية للبيان والسما تحتمل
الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض
بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على
انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث
الحيوان في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب
ويعيشون بالحياة والبث النشر والتفريق وتصريف
الرياح في مهابها واحوالها وقرا حمزة والكسائي على الافراد
والسحاب المسخر بين السماء والارض لاينزل ولا ينقشع و
مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل
مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله تعالى واشتقاقه
من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون
يتفكرون فيها وينظرون اليها عقولهم وعنه صلى الله
عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر
فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدته
من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها
امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة
وانحا مختلفة اذ كان جايزا مثلا ان لا تتحرك السموات
او

او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركتها وبحيث
تصير المنطقة دايرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج
وحضيض اصلا وعلى هذا الوجه لبساطتها وتساوي
اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها
على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا
عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر ما يقدر
عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم
اجتماع موثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم
ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته
وان اختلف لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه
بقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي
الاية تنبيه على شرف علم الكلام وحث على البحث والنظر
فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الا
صنام وقيل من الروساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله
تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو
ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم
كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يستوون
بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب
من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه

اصابها ورشح فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته
والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة
اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين
امنوا اشد حبا لله لانه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف
محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة متوهمة تزول بادنى
سبب ولذلك كانوا يعدلون عن الهتهم الى الله عند
الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره
ولو يرى الذين ظلموا ظلموا ولو يرى المخاطبين يعلم الذين هولاء
الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه
يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله
تعالى ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد
مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان
القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم
وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير
لو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله
كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرا ابن عامر اذ يرون على البناء
للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد
العذاب على الاستيناف واضمار القول اذ تبرا الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرا المتبوعون

من

من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرا الاتباع من الرؤسا
ورأوا العذاب اي رائين له فالواو للحال وقد مضمرة وقيل
عطف على تبرا وتقطعت بهم الاسباب ويحتمل العطف
على تبرا او رأوا والحال والاول اظهر والاسباب
الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين
والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي
يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت على البناء للمفعول وقال
الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرؤوا منا
لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا
فنتبرا منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم ندمات وهي ثالث مفاعيل يرى
ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين
من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة
للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا
يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا
على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا
او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض
اذ لا يوكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة
المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات

الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال
وتحللوا الحرام وقرء نافع وابو عمرو وحمزة والبزي وابو بكر
حيث وقع بتسكين الطا وهما لغتان في جمع خطوة وهي
ما بين قدمي الخاطي وقرء بضمتين وهمزة جعلت
ضمة الطا كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي
المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند
ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالات لمن يغويه ولذلك
سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يامركم با
السوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن
متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر
تسفيها لرايهم وتحقيرا لشانهم والسوء والفحشاء ما انكره
العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين
فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل
السوء يعم القبايح والفحشاء ما يجاوز الحد في القبح من
الكباير وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل
المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع
الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند
الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه

في

الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا الضمير للناس وعدل
عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالتهم كانه التفت الى العقلاء
وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع
ما الفينا عليه اباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين
امروا باتباع القران وساير ما انزل الله من الحجج والايات فجنحوا
الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الاسلام فقالوا نتبع ما وجدنا عليه اباءنا
لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التوراة
لانها ايضا تدعو الى الاسلام اولو كان اباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد و
التعجيب وجواب لو محذوف اي لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون
في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع
من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واتباع الغير
في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين
في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء
ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل
الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهايم الذي ينعق والمعنى
الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم

ولا يتاملون فيما تقرر معهم فهم فى ذالك كالبهايم التى ينعق
عليها فسمع الصوت ولا تعرف مقراه وتحس بالنداء
ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم باتباع ابائهم على ظاهر
حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهايم الذى تسمع الصوت
ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم فى دعائهم الاصنام بالناعق
فى نعقه وهو التصويت على البهايم وهذا يغنى عن الاضمار
ولكن يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع
الا ان يجعل ذالك من باب التمثيل المركب صم بكم عمى رفع
على الذم فهم لا يعقلون اى بالفعل للاخلال بالنظر
يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع
الامر على الناس كافة واباح لهم ما فى الارض سوى ما حرم عليهم
امر المومنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا
بحقوقها فقال واشكروا الله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم
اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل
العبادة هو الامر بالشكر وهو عدم عند عدمه وعن النبى
صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انى والانس والجن فى نباء
عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى انما حرم
عليكم الميتة اكلها والميتة والانتفاع بها وهى التى هلكت
من غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حى والسمك

والجراد

والجراد اخرجهما العرف عنها واستثنى الشرع والحرمة المضافة
الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه
الدليل كالتصرف فى المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص
اللحم بالذكر لانه معظم ما يوكل من الحيوان وساير اجزائه كا
التابع له وما اهل به لغير الله اى رفع به الصوت عند ذبحه
للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته
لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا روى سمى
ذالك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر
غير باغ بالاستيثار على مضطر اخر وقرا عاصم وابو عمرو وحمزة
بكسر النون ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالى
ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصى بالسفر
وهو ظاهر مذهب الشافعى رضى الله عنه وقول احمد فلا
اثم عليه فى تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة
فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم
يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر
حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء
ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون
فى بطونهم الا النار اما فى الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار

لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك
بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعنى الدية او فى المال
اى لا ياكلون يوم القيمة الا النار ومعنى فى بطونهم ملء بطونهم
يقال اكل فى بطنه واكل فى بعض بطنه كقوله كلوا فى بعض
بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه
عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم فى الكرامة والزلفى
من الله ولا يزكيهم لا يثنى عليهم ولهم عذاب اليم مولم
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فى الدنيا والعذاب
بالمغفرة فى الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية
فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم فى الالتباس بموجبات
النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها
كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها
الخبر او موصولة وما بعدها صلته والخبر محذوف ذلك
بان الله نزل الكتاب بالحق اى ذلك العذاب بسبب ان الله
نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان
الذين اختلفوا فى الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم
ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة
اما الى التوراة واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم
فى تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اى حرفوا ما فيها

اواما

او اما الى القران واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام
علمه بشر واساطير الاولين لفى شقاق بعيد لفى خلاف
بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
البر كل فعل مرضى والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض
فى امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه
الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر مقصورا بامر القبلة
او ليس البر العظيم الذى يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره
امرها وقرا حمزة وحفص ليس البر بالنصب ولكن البر
من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين
اى ولكن البر الذى ينبغى ان يهتم به بر من امن او ولكن
ذا البر من امن ويؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق و
احسن والمراد بالكتاب الجنس او القران وقرا نافع وابن عامر
ولكن بالتخفيف ورفع البر واتى المال على حبه اى حب
المال كما قال عليه السلام لما سئل اى الصدقة افضل ان تؤتيه
وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله
او للمصدر والجار والمجرور فى موضع الحال ذوى القربى
واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس
وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم افضل كما قال عليه السلام
صدقتك على المسلمين صدقة وعلى ذوى رحمك اثنتان

صدقة وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنه
الخلة واصله دايم السكون كالمسكير لدائم السكر وابن السبيل
المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق
وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين
الجاهم الحاجة الى السوال وقال عليه السلام للسائل حق
وان جاء على فرسه وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين
او فك الاسارى وابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة
المفروضة واتى الزكاة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن
قوله واتى المال الزكاة المفروضة ولكن الغرض من الاول
بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان
يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال
سوى الزكاة وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن والصابرين في البأساء
نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على ساير الاعمال
وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس
كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين
صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون
عن الكفر وساير الرذائل والاية كما ترى جامعة للكمالات
الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا

فانها

فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة اشيا صحة الا
عتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول
بقوله واقام الصلوة الى اخرها ولذلك وصف المستجمع
لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا
بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه بقوله عليه السلام من عمل
بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا كتب
عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى
بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احيا العرب دماء
وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم
بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوءوا ولا يدل
على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا يدل على
عكسه فان المفهوم انما يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص
غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع
مالك والشافعي رحمة الله عليهما قتل الحر بالعبد سواء
كان عبده او عبد غيره لما روى علي رضي الله عنه ان رجلا
قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة
ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل
مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله

عنهما كانا لا يقتلاون الحر بالعبد بين اظهر الصحابة
من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له
دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في
التوراة فلا ينسخ ما في القران واحتجت الحنفية به على ان
مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير
يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير
بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء
للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك فصل جاء في القران
فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم
وفايدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في
اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به
وهو ضعيف اذ لم يثبت عفى الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفى
يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفى الله عنك
وقال عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام
الكتب بالام وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته
من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة
بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه
فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع
او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطلب

الدية

الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان
يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل
على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداءها
على مطلق العفو وللشافعي رضي الله عنه في المسئلة قولان
ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم
ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود
القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخير هذه
الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم
على حسن مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك اي القتل والعفو
واخذ الدية فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا بان
يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد
اخذ الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة
والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص
ونكر الحياة ليدل على ان في الجنس من الحكم نوعا من الحيوة
عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون
سبب حياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل
والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من
القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم وعلى الا
ول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحياة

الاخروية فان المقاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ
به في الاخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحياة
وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا عن المظهر
المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم
القتل حياة او في القران حياة للقلوب يا اولي الالباب
ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص
من استبقاء الارواح وحفظ الانفس لعلكم تتقون
في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن
القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت
اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك خيرا مالا وقيل مالا
كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان
يوصي وله سبع مائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى
ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضي الله
عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقال
ثلاثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال
الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك
الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير
فعلها للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك
ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما العامل في اذا مدلول

كتب

نافعا في نفسه لكن لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه
ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون
به من سواهم من الكفرة من جعل الاصابع في الاذان
من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله
تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم
من شدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما
صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف
ان تخطف ابصارهم خطوا خطا يسيرة ثم اذا خفي
وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه
الايمان والقران وسائر ما اوتي الانسان من المعارف
التي هي سبب الحياة الابدية بالصيب الذي به حياة
الارض وما ارتكبت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها
من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد
والوعيد بالرعد [illegible] الايات الباهرة بالبرق
وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد
فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم
منها وهو معنى قوله تعالى والله محيط بالكافرين
واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح
اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم

وما يطرقون عطف على نكايات اي
وما يصيب المؤمنين به من سواهم اي سوى
المنافقين بمصائب الادلال والاهلاك
وما يطرقون اي وما يصيب
المؤمنين وهذا معناه الاثم واصل الطرق
الضرب ومنه ... اذ ذكر ابيض في
تاج المصادر ... اي اغتنموها وهو تفعل
الواحد فتركه فرصة حال من المفعول او مفعول
ثان على تضمين معنى الاتخاذ
قائله راغب اصفهاني

وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن
لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل
لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح
ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن
الفوايد الاجلة ولو شاء الله تعالى لجعلهم بالحالة التي
يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها الناس اعبدوا
ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف
امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا
للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما
لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف
وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له
منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله
وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه
او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع
المنادى جملة مفيدة لانه نايب مناب فعل واي جعل
وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر
لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطى
حكم المنادى واجرى عليه المقصود بالنداء وصفا

موضحا

والتزم رفعه اي نوع المقصود بالنداء وان كان تابعا صفة نعتا

موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت
بينهما ها التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي
من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القران
لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله له عباده
من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا اليها
ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق
بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة
باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء
منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد
الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها
شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول
لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام
ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت
الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة
والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها
الذين امنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه
بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك
بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب
من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه

ان صح رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فلا يوجب تخصيصه
بالكفار يعني لا نسلم اولا انه مرفوع الى النبي عليه السلام بل هو موقوف
على التابعين المذكورين كما ذكره الزيلعي وعن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه [illegible] ولو سلم رفعه فلا يوجب تخصيصه
بالكفار بل يعمهم والمؤمنين فان [illegible] كلهم كافرين
فان المامور به هو القدر المشترك بين بدء العبادة
المشترك في حق الكفار والزيادة فيها في حق بعض المؤمنين
والمواظبة عليها في حق بعض اخر منهم
شايعا ذايعا
في الصحاح ذاع الحديث ذيعا وذيوعا انتشر وظهر واذاعه اظهره

من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب
الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب
الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب دفعه
والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم
عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي
التربية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل
ويحتمل التقييد ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب
اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق
ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق
النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس ~~لعلكم تتقون~~ والذين من قبلكم صح
متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان
منصوب عطفا على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة
اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او
لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام
الموصول الثاني بين الاول وصلته توكيدا كما اقحم جرير
في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول
وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير
في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في

سلك

في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين
لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات
السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله تعالى
الى الله تعالى وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته
ويكون ذا خوف ورجا كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا
وطمعا ويرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول
خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة
من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة
الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ
والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل الخلق اي خلقكم لكي
تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل
على ان الطريق الى معرفة الله والعلم بوحدانيته واستحقاقه
للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد
لا يستحق بعبادته ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده
عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل
الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب
او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا لله وجعل من الافعال
العامة يجي على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى

كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب
وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل
الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله
جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول
او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها
بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة
بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهياة لان يقعدوا وينام
عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة
لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يابى الافتراش
عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم
جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل
جمع سماة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة
او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا
عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من
الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة
الله تعالى ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب
سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى
عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة
منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد

من

من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد
الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب
والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال
صنايع وحكم يجدد فيها لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم
قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتدا
سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك
فان المطر يبتدى من السماء الى السحاب ومنه الى
الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير
الاجزاء المرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فينعقد
سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى
فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا
كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض
الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل
من السماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق
او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت
من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع
الكثرة لانه اراد بالثمر جماعة الثمرة التي في قولك ادركت
ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرا من الثمرة على التوحيد
او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا

تركوا من جنات وقوله ثلاثة قروء ولانها لما كانت محلاة
باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد
به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال
رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا
على انه نهى معطوف عليه او نفى منصوب باضمار ان جواب
له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع فى قوله
تعالى لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع
الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها فى انها غير موجبة
والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذى
جعل ان استانفت به على انه نهى وقع خبرا على تاويل
مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه
لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم
الجسام والايات العظام ينبغى ان لا يشرك به والند
المثل المساوى قال جرير اتيما تجعلون الى ندا وما تيم
لذى حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت
الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل فى الذات كما خص
المساوى بالمماثل فى القدر وتسمية ما يعبده المشركون
من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه فى ذاته وصفاته
ولا انها تخالفه فى افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها

وسموها

وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات
واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير
فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع
ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن
نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير
وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون
مطرح اى وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراى
فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد
للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة
المخلوقات او منوى وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل
ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ
وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم
وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء
فى التكليف واعلم ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة
الله تعالى والنهى عن الاشراك به والاشارة الى ما هو
العلة والمقتضى وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على
صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين
ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون

الم تعلم بان الله افنى رجالا كان شانهم الفجور
وابقى اخرين ببر قوم فيربل منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثر ثاب يوما كما يتروح الغصن النضير

اليه من معايشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس
فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول
والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره
شاهدة على وحدانية ربوبيته رتب عليها النهي
عن الاشراك به ولعله سبحانه تعالى اراد من الاية الاخيرة
مع ما دل عليه من المعاني والصفة على طريقة التمثيل
الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان
وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل
البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما
افاض عليهم من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بوساطة
استعمال العقل الحواس وازدواج القوى النفسانية
والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية
الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار
فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة لما قرر
وحدانيته وبين طريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو
الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القران المعجز
بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحام من
طولب بها وعجز منه مصاقع الخطباء من العرب العرباء

مع

مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على
المعازة والمعارضة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن
انه من عند الله تعالى كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان
نزوله نجما نجما بحسب الوقائع على ما ترى عليه اهل
الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله تعالى عنهم وقال
الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فكان الواجب
تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف
العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به
منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة
الطائفة من القران المترجمة التي اقلها ثلث ايات وهي ان
جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها
محيطة بطائفة من القران مفرزة محوزة على
حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة
على ما فيها او من السورة التي هي المرتبة قال ولرهط
حرب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار ولان السور
كالمنازل والمراتب يترقى بها القارئ او لها مراتب
في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان
جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية او
القطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القران سورا افراد

الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط
القارى وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم
سورة نفيس ذالك منه كالمسافر اذا علم انه قطعا
ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ
من القران حظا تاما وفاز بطايفة محدودة مستقلة
بنفسها فعظم ذالك عنده وابتهج به الى غيرها من الفوايد
من مثله صفة سورة اى بسورة كاينة من مثله والضمير
لما نزلنا ومن للتبعيض او التبيين وزايدة عند الاخفش
اى بسورة مماثلة للقران فى البلاغة وحسن النظم او لعبدنا
ومن للابتداء اى بسورة كاينة ممن هو على حاله من كونه
مبشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا
والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله
فاتوا بسورة من مثله ولساير ايات التحدى ولان الكلام
فيه لا فى المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب
والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به
واحد من ابنا جلدتهم ابلغ فى التحدى من ان يقال لهم لياتى
بنحو ما اتى به هذا اخر مثله ولانه معجز فى نفسه لا بالنسبة
اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم

امكان

امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله
وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امرهم بان
يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع
شهيد بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة او الناصر او الامام
وكانه سمى به لانه يحضر النوادى ويبرم بمحضره الامور
اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل
للمقتول فى سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او
الملايكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشى ومنه
تدوين الكتب لانه ادنا البعض من البعض ودونك هذا
اى خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد
دون عمرو اى فى الشرف ومنه الشى الدون ثم اتسع فيه
فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى امر الى اخر قال
تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون
المومنين اى لا يتجاوزوا ولاية المومنين الى ولاية الكافرين
وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اى اذا تجاوزت
وقاية الله تعالى فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا
والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم او رجوتم معونته
من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان ياتى
بمثله الا الله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله شهداء

يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله
فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم
الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء او الهة اى عادة او زعمتم
انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدى
الله تعالى على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى
من دونها وهى دونه ليعينوكم وفى امرهم ان يستظهروا بالجماد
فى معارضة القران غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من
دون الله اى من دون اولياءه يعنى فصحاء العرب فى وجوه
المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى
لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله
ان كنتم صادقين يعنى انه من كلام البشر وجوابه محذوف
دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد
المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين
فى قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد
بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار
عن ما عليه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما
يتعرفون به امر الرسول وما جاء به وتميز لهم الحق عن
الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا

اجتهدتم

نريد نسخ

فاتقوا النار التى صح

اجتهدتم فى معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه
او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فامنوا به
واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف
بالفعل الذى يعم الاتيان به وغيره ايجازا ونزل لازم
الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا
لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر
الشرطية بان الذى للشك والحال يقتضى اذا الذى
للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا فى عجزهم ولذلك
نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا
معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا
عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال المختصة بالمضارع
متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء
منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم
الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا فى نفى المستقبل
غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل
فى احدى الروايتين عنه وفى الرواية الاخرى اصله لا ان
وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما
يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح
قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا

وقد يفصل من ... كقول ... فاصبحت
... فقراء ... كان ...
... نوءل

والاسم بالنظم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر
قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم
وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق
الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير
مقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم
وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع
المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشا جرمهم
كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون
زيادة تحسرهم وقيل الذهب والفضة كانوا يكنزونهما
ويفتخرون بهما وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع
من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهي
تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شا
نها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها
والكبريت تتقد بكل نار وان ضعفت فان صح هذا
عن ابن عباس رضي الله عنه فلعله عنى به ان الاحجار
كلها لتلك كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت
الاية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في
سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه

مع تعريفها النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون
قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت
لهم عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة
والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير
الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما
بالخبر وفي الايتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول
ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع
في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد
على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القران
ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على
المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجؤوا الى جلاء الوطن
وبذل المهج والثاني تضمنهما الاخبار عن الغيب على ما
هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة
سيما والطاعنون فيه الاكثر من الذابين عنه في كل عصر
والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى
المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض
حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة
لهم الان وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان
لهم جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف

حال من امن بالقران ووصف ثوابه على حال من كفر به
وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان
يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما
ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطفا لفعل على الفعل
نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر ونهي
فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه
بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به
استوجب العقاب ومن امن به استحق الثواب وذلك
يستدعي ان يخوف هولاء ويبشر هولاء وانما امر الرسول
عليه السلام او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة
بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب
الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا
ويهنئوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول
عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر السار
فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء
البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من
يبشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق
اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى
فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله

تحية

تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة
وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء
كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من آل لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه
الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة
واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا الحكم
عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة
مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو
عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح
كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما
ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان
اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه وما هو داخل فيه
ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه
او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من
الجن وهو مصدر جنه اذا ستره واحدة قال زهير
كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة
سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار
المتكاثفة المظلة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل
سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من

افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس الاية وجمعها وتنكيرها
لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس
وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى
ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات
متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل
على استحقاقهم اياها لاجل ما يترتب عليه من الايمان
والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا
من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل
الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان
ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن
اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه
تعالى لم يقيدها هنا استغناء بها **تجري من تحتها
الانهار** اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت
الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار
الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس
كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد
والمعهود هي المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير

آسن الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول
ودون البحر كالنيل والبحر والفرات والتركيب للسعة والمراد
بها ماؤها على المجاز للاضمار او المجاز او المجاري انفسها والاسناد
الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا
صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة
كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل
ثمار الدنيا ام اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف
ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان
موقع الحال وتقدير الكلام ومعناه كل حين او مرة رزقوا مرزوقا
مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ
من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال
الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال
ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك
اسدا او هذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا
الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين
المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه
وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن
لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك

ابو يوسف وابو حنيفه من قبل اى من قبل هذا فى الدنيا
جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما
ترى فان الطباع مايلة الى المالوف متنفرة عن غيره وتتبين
لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد
ظن انه لا يكون الا كذالك او فى الجنة لان طعامها متشابه
الصورة كما حكى عن الحسن ان احدهم يوتى بالصحفة فياكل
منها ثم يوتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذالك فتقول
الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف او لما روى
انه عليه السلام قال والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل
الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هى واصلة الى فيه حتى يبدل
الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى
قالوا كذالك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل
على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعى لهم الى ذالك
فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم
فى اللذة والتشابه البليغ فى الصورة واتوا به متشابها
اعتراض بما يقرر ذالك والضمير فى به على الاول راجع الى ما رزقوا
فى الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذى رزقنا من
قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما
اى بجنس الغنى والفقير وعلى الثانى الى الرزق فان قيل

التشا

التشابه بينهما حاصل فى الصورة التى هى مناط الاسم دون المقدار
والطعم وهو كاف فى اطلاق التشابه هذا وان للاية محملا
اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة فى مقابلة ما رزقوا فى الدنيا
فى الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة فى اللذة بحسب
تفاوتهما فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذى رزقنا انه ثوابه
ومن تشابهما تماثلهما فى الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون
هذا فى الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون فى الوعيد ولهم
فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن
كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير مما
يستعمل فى الاجسام والاخلاق كالافعال وقرئ مطهرات
وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة
وفواعل قال واذ العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب
القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة
بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة
ومتطهرة لاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله تعالى والزوج
يقال للذكر والانثى وهو فى الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف
فان قيل فايدة المطعوم هو التغذى ودفع ضرر الجوع وفايدة
المنكوح التوالد وحفظ النوع وهى مستغنى عنها فى الجنة قلت مطاعم
الجنة ومناكحها وساير احوالها انما تشارك نظايرها الدنيوية

في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل
الاستعارة والتمثيل لا يشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم
جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها **وهم فيها خالدون**
دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك
قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان
على حاله مادام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان
التقييد بالتأبيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله
حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا
والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه
بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله وما
جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام هاهنا عند
الجمهور لما يشهد له من الايات والسنن فان قلت الابدان مركبة
من اجزاء متضادة الكيفية متساوية في القوة لا يقوى بها
شي منها متعرضة للاستحالات المؤدية الى الاستحالات
الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان
قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان
يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة
لا يقوى شي منها على حالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها
عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم

واحواله

واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف
البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصور
على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان
ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها
خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب
الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الاخرة بابهى
ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود
ليدل على كمالهم في التنعم والسرور **ان الله لا يستحيي ان**
يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الايات السابقة
متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما
هو الحق والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من
الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة
والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى
الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد
المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه
فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم
لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكات ولذلك
شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء
واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم

وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل
الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة
السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد
واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة
من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين
واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف
ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا
منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب
والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به
وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من امن
بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه
فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة
ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحيا انقباض النفس
عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي
هي الجراة على القبايح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو
انحصار النفس على الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة
فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها
فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وخشي اذا اعتلت نساه
وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث

ان

ان الله تعالى يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه
ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما
صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم
للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة
المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من
يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن
بسبت في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه
من التمثيل والمبالغة وتحتمل الاية خاصة ان يكون مجيئه
على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله
من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على اخر وان بصلتها
مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء
الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد
النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك
اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي
في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضايع فان
القران كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما
وضعت لان يذكر مع غيره فيفيد له وثاقة وقوة
وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف
بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت

وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل
الصدور بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة والمخاطبة
السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد
واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة
من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين
واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف
ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا
منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب
والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به
وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من امن
بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه
فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة
ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحيا انقباض النفس
عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي
هي الجراءة على القبايح وعدم المبالات بها والخجل الذي هو
انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة
فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها
فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وخشي اذا اعتلت نساه
وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث

ان

ان الله تعالى يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه
ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما
صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم
للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة
المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من
يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن
بسبت في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك لما فيه
من التمثيل والمبالغة وتحتمل الاية خاصة ان يكون مجيئه
على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله
من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على اخر وان بصلتها
مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء
الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد
النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك
اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي
في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضايع فان
القران كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما
وضعت لان يذكر مع غيره فيفيد له وثاقة وقوة
وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف
بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت

عليه لانها نكرة او هما مفعولان لتضمنه معنى الجعل وقرئت
بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف وعلى هذا تحتمل وجوها
اخر ان تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف
في قوله تعالى تماما على الذى احسن وموصوفة بصفة
كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية
هى المبتدء كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال
بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل
له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالى
بما يهب ما دينار و ديناران والبعوض فعول من البعض
وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كا
الخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما
ومعناه ما زاد عليها فى الجثة كالذباب والعنكبوت
كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيى من ضرب
المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او فى المعنى الذى
جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه
السلام ضربه مثلا فى الدنيا ونظيره فى الاحتمالين ما روى
ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضى
الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما
من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة

ومحيت

محيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة فى الالم
كالخرور وما زاد عليها فى القلة كنخبة النملة لقوله عليه
السلام ما اصاب المسلم من مكروه فهو كفارة لخطاياه
حتى نخبة النملة فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق
من ربهم اما حرف يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن
معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب
معناه مهما يكن من شىء فزيد ذاهب اى هو ذاهب لا
محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة
لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر
وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفى تصدير الجملتين به
احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ
للكافرين على قولهم والضمير فى انه للمثل او لان يضرب والحق
الثابت الذى لا يسوغ انكاره ويعم الاعيان الثابتة
والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق
الامر اذا ثبت ومنه ثوب محكم النسج واما الذين
كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا
يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم
هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية
ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل

وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما
بعده صلته والمجموع خبرما وان يكون ما مع ذا اسما واحد
بمعنى اي شي منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله ولا
حسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق
الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى
الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدء النزوع
والاول مع الفعل والثاني قبله كلا المعنيين غير متصور اتصاف
الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل
ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها
فعلى هذا لم تكن المعاصي بغيره بارادته وقيل علمه باشتماله
الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر
الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الاخر و
تخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح
وهو اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقارا
واسترذالا ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله تعالى
هذه ناقة الله لكم اية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
جواب ماذا اي اضلال كثير او هدا كثير او ضع الفعل
موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد وبيان
للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا

هدا

هدا وبيان وان الجهل بوجه ارادته والانكار لحسن مورده
ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى
انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهتدين قليلون
بالاضافة الى اهل الضلال كما قال الله تعالى وقليل من
عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث
العدد وكثرة المهتدين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل
اذا عدوا كثير اذا اشتدوا وقال ان الكرام كثير في البلاد
وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين
هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها
اذا خرجت واصل اصل الفسق الخروج عن القصد قال
رؤبة فواسقا عن قصدها جوايرا والفاسق في الشرع الخارج
عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاول
التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية
الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة
وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام
وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس
الكفر وما دام في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب
عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى

الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع
التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده
وجعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتين المؤمن والكافر
لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص
الاضلال بهم لادى الى الاضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم
الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى
الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم
بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة
الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت به ضلالتهم
فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول
والفاسقون بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة
الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب
واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من
حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد
المتعاهدين بالاخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان
ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من
روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين
كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس

فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته
المنح والعهد الموثق وضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد
كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى
بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما المأخوذ (اي العهد)
بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده
ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله
تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم
بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه
واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار
بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره
وقيل عهد الله ثلاثة عهد اخذه على جميع ذرية ادم بان
يقروا بربوبيته اوتوا الكتاب وعهد اخذه على النبيين
بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء
بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد
والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاستحكام والمراد
به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه
به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر
ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق و
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل ان يكون كل قطيعة

لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين
والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في
التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض
خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة
بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل
وقيل مع العلو وقيل مع الحتم لا الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو
واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل
له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت
قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره
والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن
عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام
العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال
العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال
الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقايقها
والاقتباس من انوارها واشتروا النقض بالوفا والفساد
بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار
فيه انكار وتعجب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على
الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة
فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك

انكار

انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون
واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم
بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال وخاطبهم على طريقة
الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية
خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم صح
امواتا اي اجساما لا حياة لها عناصر واغذية واخلاطا
ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح
ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه
غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي
اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال
في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم
او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم
مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم
ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم
من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم
في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما
وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر على ان يحييهم
ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع
القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة

ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذالك بان عدد
عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر
منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم
النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد
الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة
الى الحياة الثانية التى هى الحياة الحقيقة كما قال تعالى
وان الدار الاخرة لهى الحيوان كانت من النعم العظيمة
مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة
باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من
الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح
ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم
وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر و
وكنتم امواتا اى جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان
ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقة ثم اليه
ترجعون فينبئكم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر والحياة حقيقة فى القوة الحساسة او ما يقتضيها
وبه سمى الحيوان حيوانا مجاز فى القوة النامية لانها من
اطلاعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل
كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت

بازائها

بازائها يقال على ما يقابلها فى كل مرتبة قال الله تعالى قل الله
تعالى يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيى الارض بعد
موتها وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشى به فى الناس واذا وصف بها البارى تعالى اريد بها
صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا
او معنى قايم بذاته يقتضى ذالك على الاستعارة وقرا يعقوب
ترجعون بفتح التاء فى جميع القران هو الذى خلق لكم ما
فى الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها
خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما
يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم
وانتفاعكم فى دنياكم باستنفاعكم بها فى مصالح ابدانكم
بوسط او غير وسط او دينكم بالاستدلال والاعتبار
والتعرف لما يلايمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض
فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه
عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضى اباحة الاشياء النافعة
ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل
على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كلما فى الارض
لا الارض الا اذا اريد به جهة السفل كما يراد بالسماء جهة
العلو وجميعا حال من الموصول الثانى ثم استوى الى

السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم
المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوى على شئ واصل
الاستواء طلب التسوا واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية
وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل
استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق قد
استوى ملك بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق والاول
اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه
بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو
وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق
الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت
فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على ما خلق ما فيها من
خلق السماء وتسويتها الا ان يستانف بدحاها مقدرا
النصب لارض فعلا اخر دل عليه اانتم اشد خلقا مثل
تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر
فسواهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور
شقوق وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في
معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع
سموات بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد

اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس
في الاية نفي الزايد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق
خلاف وهو بكل شئ عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما
بكيفية الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه
الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب
والترتيب الانيق كان عالما فان اتقان الافعال واحكامها
وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم
حكيم رحيم وازاحة لما يختلج فصدورهم من ان الابدان
بعد ما تفتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها
كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شئ منها
ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره
قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر
مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين
الايتين اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع
والحياة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا
فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع
والموت والحياة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما
بالذات يابى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة
فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها

واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم
وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر
على اعادتهم واحيائهم وانه خلقها خلقا مستويا
محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد
حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت
قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي
الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد واذ قال ربك
للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة
تعم الناس كلهم فان خلق ادم واكرامه وتفضيله على الملائكة
بان امرهم بالسجود انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع
لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان
نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى وجب اضافتهما الى
الجمل كحيث فى المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا
للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية
فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما
قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى
تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم
المضاف مقامه وعامله فى الاية قالوا واذكر على التاويل المذكور
لانه جاء معمولا له صريحا فى القران كثيرا او مضمرا

ذل

ذل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال
وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة فى حكم الصلة
عن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كا
الشمائل جمع شمال والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب
مألك من الالوكة وهى الرسالة لانهم وسائط بين
الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف
العقلاء فى حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة
قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام
قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل
كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى
هى النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان
وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة
فى الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق
فى معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم
فى محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر
من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به
القلم الالهى لا يعصون الله ما امرهم ونهيهم
بوهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا

فمنهم سماوية ومنهم ارضية مع تفصيل اثبته في كتاب
الطوالع والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم
المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان
معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا
فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم
وفرقهم في الجزاير والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان
وهما في الارض خليفة عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد
على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من
يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد
به ادم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك
كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل
نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه
بالقصور الخلايق المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره
بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبيا لما فاقت
قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم
اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى في الميقات ومحمدا
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة

ان

ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد
جعل الباري بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ
من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته
لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ
اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة
في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلف او خلفا يخلف
وفايدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان
المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة
قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم
وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان
ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب
من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها
او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف
عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها
واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه
عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله ولا طعن في بني
ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله
تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون

وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى وتلق من اللوح او
استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم
او قياس لاحد الثقلين على الاخر والسفك والسبك والسفح
والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع
والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن
في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ
يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا
او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك
اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى استخلف
عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار
عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف
لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة
ذو ثلاث قوى عليها مداره شهوية وغضبية يؤديان
به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة
ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار
تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه
واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها
سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل

واحدة

كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل
متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف في المعاملات
ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة
بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع
الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف
واليه اشار تعالى اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون
والتسبيح تبعيد الله تعالى عن السوء وكذلك التقديس
من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيهما
وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار
وبحمدك في موضع الحال اي متلبسين بحمدك على ما الهمتنا
معرفتك ووفقتنا لتسبيحك وتداركوا به ما اوهم
اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الافساد المفسر بالشرك
عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال
الذميمة بتطهير النفس عن الاثام وقيل نقدسك واللام
مزيدة وعلم ادم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه
او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل
والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته
فلم يتعلم وادم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه

من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة ومن اديم الارض
لما روى عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع
الارض سهلها وحزنها فخلق منها ادم فلذلك يأتي بنوه
اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق
ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من
الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء
ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال
واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا
او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا
في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة
والمراد في الاية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول
لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني
والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة
مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات
والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء
وخواصها واسمائها واصول العلم وقوانين الصناعات وكيفية
الاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات
المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف
اليه لدلالة المضاف اليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى

واشتعل

واشتعل الراس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات
فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ
والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره
لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها
على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني
باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة
فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة
والوقوف على مراتب الاستعداد وقدر الحقوق محال وليس
بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار
فيه اعلام ولذلك يجرى كل واحد منهما ان كنتم
صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم وان
خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو
وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما
يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض
ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات
قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز و
القصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن
اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي لهم من فضل الانسان
والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم

ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه
وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا
باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجرى علما للتسبيح بمعنى التنزيه على
الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير
الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة
الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه
السلام تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك
انى كنت من الظالمين انك انت العليم الحكيم الذى
لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذى
لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد
للكاف كما فى قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت
بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ فى المتبوع ولذلك
جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره
ما بعده والجملة خبر ان قال يا ادم انبئهم باسمائهم
اى اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة يا وحذفها بكسر
الهاء فيهما فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم
انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما
تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله
اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون

كالحجة

كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفى عليهم من امور
السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة
والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم
على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يتبين
لهم وقيل ما يبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها
وما يكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه
تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من
الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للا
نكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير
واعلم ان هذه الاية تدل على شرف الانسان ومزية العلم
وفضله على العبادة وانه شرط فى الخلافة بل العمدة فيها
وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح
اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف فيه
وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ
بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر فى القائها على المتعلم
مبينا له معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع
والاصل ينفى ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل ادم
فيكون من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على
مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم

وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكما
منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه
قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان ادم
افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل
لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشيا قبل حدوثها واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لادم لما انباهم بالاسما وعلمهم
ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء
لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان
يستوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا
لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق
ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه
وعلى الجملة المقدمة بل القصة باسرها على القصة الا
خرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في
الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه
سجدا للحوافر وقال قلن له اسجد لليلى فاسجدا
يعني البعير اذا طاطا راسه وفي الشرع وضع الجبهة
على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فا

المسجود

ما كنت احسب هذا الامر
منصرفا عن هاشم ثم منهم
عن ابي حسن

بمضمر صح

المسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل ادم قبلة
سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه
تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا في المبدعات
كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني
والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من
الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب و
الدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم
قدرته وباهر اياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطة
فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى
لقبلتكم واعرف الناس بالقران والسنن او في قوله
تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي
وهو التواضع لادم تحية وتعظيما له كسجود اخوة
يوسف له او التذلل والانقياد له بالسعي في تحصيل
ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالاتهم والكلام
في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة
منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر
امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في
عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه
ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار

والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار
طلب ذالك بالتشبع وكان من الكافرين اى فى
علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود
لادم اعتقادا منه بانه افضل منه والافضل لا يحسن
ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر
به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين لا
بترك الواجب وحده والاية تدل على ان ادم افضل
من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه
وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم
ولم يصح استثناوه منهم ولا يرد على ذالك قوله تعالى
الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن
فعلا وهو من الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى
ان من الملائكة نوعا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم
ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول
انه كان جنيا نشا بين اظهر الملائكة وكان مغمورا
بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا
مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة
عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل

لاحد

لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون
به والضمير فى فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال
فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من
الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة
ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات
وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة
من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف
كما قال ابن عباس رضى الله عنه فلذالك صح عليه التغيير
من حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله تعالى الا
ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح
ذالك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت
عايشة رضى الله عنها انه عليه السلام قال خلقت الملائكة
من النور وخلقت الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل
لما ذكرت لما فان المراد بالنور الجوهر المضى والنار كذلك
غير ان ضوها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه
بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا
صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت
عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى
ينطفى نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه

بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند
الله تعالى ومن فوايد الاية استقباح الاستكبار
وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الايتمار
لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان
الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر
على الحقيقة اذ العبرة بالخواتم وان كان بحكم الحال
مومنا وهو الموافات المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن
الاشعري رض الله عنه قلنا يا ادم اسكن انت
وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها نوع
استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن
ليصح عليه العطف وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها
على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة
دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن
زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض
فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى
امتحانا لادم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض
هند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها
رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث
شئتما اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما

ازاحة

ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجر المنهي عنها
من بين اشجارها الفايتة هو السابقة للحصر ولا
تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات
تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول
مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها
على ان القرب من الشي يورث داعية وميلا ياخذ
بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع
كما روي حبك للشي يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما
سوى ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان
يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي
او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم
فان الفا تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي
او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة
او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من
غير قاطع كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو
المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التا
وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما
عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن
هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازالهما عن

بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما يتقاربان
في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله
هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن
الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك
او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل
الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم
فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل
مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لادم
وحوا وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة
دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية
حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم
عند الله فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة
والنعيم وقلنا اهبطوا منها جميعا خطاب لادم
وحوا لقوله تعالى قال اهبطا وجمع الضمير لانهما اصلا
الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها
ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة
او من السما بعضكم لبعض عدو حال استغنى فيها

عن

عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم التماء
على بعض بتضليله ولكم في الارض مستقر موضع
استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به
وقت الموت او القيامة فتلقى ادم من ربه كلمات
استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرا
ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته
وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية
وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى
جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر
الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب
الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب
الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان
تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم و
واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحد الحاستين
السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه
رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفا
على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف
بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه

واكتفى بذكر ادم لان حوا كانت تبعا له فى الحكم ولذلك
طوى ذكر النسا فى اكثر القران والسنن انه هو
هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذى يكثر
اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف
بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها
البارى تعالى اريد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة
الرحيم المبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعد
للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها
جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول
دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون
والثانى اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى
نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط
المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية [illegible]
[illegible] للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله فكيف
بالمقترن بهما [illegible] ولكنه نسى ولم نجد له عزما وان كل واحد
منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة
الى سماء الدنيا والثانى منها الى الارض وهو كما ترى جميعا حال
فى اللفظ تاكيد فى المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون
ولذلك لا يستدعى اجتماعهم على الهبوط فى زمان واحد

كقولك

كقولك جاءا جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع
هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثانى مع جوابه
جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك
حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب
والمعنى ان يأتينكم منى هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم
نجا وفاز وانما جئ بحرف الشك واتيان الهدى كائن
لانه محتمل فى نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى
ولم يضمر لانه اراد بالثانى اعم من الاول وهو ما اتى به
الرسل واقتضاه العقل اى فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه
ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم
مكروه ولا يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على
المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم
الثواب على اكد وجه وابلغه وقرئ هدى على لغة هذيل
ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع الى اخره قسيم له
كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا
بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان
متوجهين الى الجار والمجرور والاية فى الاصل العلامة الظاهرة
وتقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع

وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القران المتميزة
عن غيرها بفصل واشتقاقها من اتى لانها تبين اي من
اتى او من اوى اليه واصلها ايه او اوية كتمرة فابدلت
عينها على غير قياس او آيِيَة او أوِيَة كرملة فاعلت او آيِيَة
كقايلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الايات
المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية
بهذه القصة على عدم عصمة الانبيا عليهم السلام
من وجوه الاول ان ادم عليه السلام كان نبيا
وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه
جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى
الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند
اليه العصيان والغي وقال وعصى ادم ربه فغوى
والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب
والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة
الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس
انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من
وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب
بالبيان الثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا

لانه

لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد
الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه
ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات
عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى
ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه الثالث انه فعله
ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه
عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله
وان حط عن الامة لم يحط عن الانبيا لعظم قدرهم
كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبيا ثم الاوليا
ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على
السببية المقدورة دون المؤاخذة كتناول على الجهل
بشانه لا يقال انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما و
قاسمهما الايتان لانه ليس فيهما ما يدل على انه تناوله
حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا
ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي
ذالك وزال المانع فحمله الطبع عليه الرابع انه عليه
السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه
ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة
فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة

الى النوع كما روى انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا
بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها
وانما جرى عليه ما جرى تفضيعا لشان الخطيئة ليجتنبها
اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة
عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون
العاقبة وان عذاب النار دايم والكافر فيه مخلد
وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها
خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر دلايل التوحيد
والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا
لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل
على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له من
حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة
ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب
معجز تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على
الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا
نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفا
الحجة ليكونوا اول من امن بمحمد عليه السلام وما انزل
عليه فقال يا بني اسرائيل اي يا اولاد يعقوب والابن
من البنا لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع

الى

الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل
لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية
صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائيل بحذف
اليا واسرائل بحذفهما واسراييل بقلب الهمزة يا
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر بها والقيام
بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود
بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة
والحسد على الكفران والتسخط وان نظر الى ما انعم به
عليه حمله حب النعمة على الرضى والشكر وقيل اراد
بها ما انعم على ابائهم من الانجا من فرعون والغرق ومن
العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد
صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا
ونعمتي باسكان اليا واسقاطها درجا وهو مذهب
من لا يحرك اليا المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي
بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة و
والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف
الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم با
بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب
ووعدلهم بالثواب على حسناتهم وللوفا بهما

عرض عريض فالاول مراتب الوفا منا هو الايتان بكلمتي
الشهادة ومن الله تعالى حقن المال والدم واخر
هنا منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن
نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء
الدائم وما روي عن ابن عباس رضي الله اوفوا بعهدي
في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال
وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف
بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق
المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر
الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى
اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة
اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين
في سورة المائدة في قوله تعالى ولقد اخذنا ميثاق بني
اسرائيل الى قوله تعالى ولادخلنكم جنات وقرئ
اوف بالتشديد للمبالغة **واياي فارهبون** فيما
تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو اكد
في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم
من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام
معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين والرهبة خوف
مع

مع تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد دالة على
وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي
ان لا يخاف احدا الا الله **وامنوا بما انزلت مصدقا
لما معكم** الافراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود
والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق
لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل بحسب
ما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد
والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين
الناس والنهي عن المعاصي والفواحش فيما يخالفها
من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في
المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة
الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى
لو نزل المتقدم في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك
قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا
اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به
بل يوجبه ولذلك عرض بقوله **ولا تكونوا اول كافر
به** بان الواجب ان يكونوا اول من امن به ولانهم
كانوا اهل نظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين
به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير

عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن
كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان
قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو
العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق
به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا
اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من
كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر
من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوول
من وال فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او
أول من ال فقلبت همزته وادغمت ولا تشتروا باياتي
ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها
حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة
الى ما يفوت عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان
قيل كان لهم رياسة في قومهم رسوم وهدايا منهم
فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون
الحق ويكتمونه واياي فاتقون بالايمان واتباع
الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت هذه الاية السابقة
مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت

بالرهبة

بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما
عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي فهي مبدأ السلوك
والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى
الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف
على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها
بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه
وتكتبونه حتى لا يتميز بينهما ولا تجعلوا الحق ملتبسا
بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه
في تاويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم
امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال
بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه
او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس
الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن
مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه
اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان
الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون
فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما
كلا صلوة ولا زكاة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم

باصوله وفيه دليل على ان الكفار يخاطبون بها والزكوة
من زكى الزرع اذا نمى فان اخراجها يستجلب بركة فى المال
ويثمر فى النفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة
فانها تطهير المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا
مع الراكعين تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة اى فى
جماعتهم فان صلوة الجماعه تفضل صلوة الفذ بسبع
وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر
عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود
وقيل الركوع للخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع
قال الاضبط السعدى لا تذل الضعيف لعلك ان
تركع يوما والدهر قد رفعه اتامرون الناس بالبر
تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير
من البر وهو الفضا الواسع يتناول كل خير ولذلك
قيل البر ثلاثة بر فى عبادة الله وبر فى مراعات الاقارب
وبر فى معاملة الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها
من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضى الله عنه
انها نزلت فى احبار المدينة كانوا يامرون سرا من
نصحوه باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا
يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون

الكتاب

الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اى تتلون التوراة
وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل
افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل
لكم يمنعكم بما تعلمون وخامة عاقبة والعقل فى الاصل
الحبس سمى به الادراك الانسانى لانه يحبسه عما يقبح
ويعقله على ما يحسن ثم القوة التى بها النفس تدرك هذا الادراك
والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ بنفسه سوء
صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع
او الاحمق الخالى عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه
شكيمته والمراد بها الحث للواعظ على تزكية النفس
والاقبال عليها بالتكميل لتقوم فتقيم لا منع الفاسق
عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما
لا يوجب الاخلال بالاخر واستعينوا بالصبر
والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم
لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال
عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار
النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذى
هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية
النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة

لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر
العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف
للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب
ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران
والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى
تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روى انه عليه
السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد
بها الدعاء وانها اى الاستعانة بهما او الصلاة وتخصيصها
برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من
الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة
كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على
الخاشعين المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة
المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع
بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وانهم اليه راجعون اى يتوقعون لقاء الله تعالى
ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى
فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود يعلمون
وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين
معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن

انه

انه مخالط لما بين الشراسيف جايف وانما لم تثقل عليهم
لثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة
فى مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويلتذ بسببه متا
عبها ومن ثم قال عليه السلام وجعلت قرة عينى الصلاة
يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم كرره للتاكيد
وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا وربطه با
لوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها
واخل بحقوقها وانى فضلتكم على العالمين عطف على نعمتى
على العالمين اى عالمى زمانهم يريد به تفضيل ابائهم
الذين كانوا فى عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا
بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم
انبيا وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر
على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اى ما فيه من الحساب
والعذاب لا تجزى نفس عن نفس شيئا لا تقضى عنها
شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على
المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا
لا يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم
والاقناط الكلى والجملة صفة ليوما والعايد فيها محذوف
تقديره لا تجزى فيه ومن لم يجوز حذف العايد المجرور

قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجرى مجرى المفعول
به ثم كان حذف كما حذف من قوله اومال اصابوا
ولا تقبل منها شفاعة ولا يوخذ منها عدل اى من
النفس الثانية العاصية اومن الاولى كانه اريد بالاية
نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه
اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثانى واما ان
يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثانى اما باداء
ما كان عليه وهو ان يجزى عنه او بغيره وهو ان يعطى
عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا
فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية
وقيل البدل واصله التسوية سمى به الفدية لانها سويت
وقرا ابن كثير وابو عمرو بالتا المفدى ولا هم ينصرون
يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه نفس الثانية
المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره
بمعنى العباد والاناسى والنصرة اخص من المعونة
لاختصاصه بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة
بهذه الاية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر واجيب
بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث
الواردة فى الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية

نزلت

نزلت لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم واذ
نجيناكم من ال فرعون تفصيل لما اجمله فى قوله تعالى
اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وعطف على نعمتى عطف
جبرائيل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم
واصل ال اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة
الى اولى الخطر كالانبيا والملوك والفرعون لقب
لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكى الفرس والروم
ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتجبر
وكان فرعون موسى مصعب ابن ريان وقيل
اسمه ابنه وليدا من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه
السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة
يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما
واصل السوم الذهاب فى طلب الشئ سوء العذاب
افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر
ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال
من الضمير فى نجيناكم او من ال فرعون او منهما جميعا
لان فيها ضمير كل واحد منهما ويذبحون ابناءهم
ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك
لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعل

بهم ذالك لان فرعون رئى في المنام او قال له الكهنة
سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم
من قدر الله شيئا **وفي ذالكم بلاء** محنة ان استير
ابذالكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجا واصله
الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة
وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار ذالك
بذالكم الى الجملة ويراد بالامتحان الشايع بينهما **من**
ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه
لتخليصكم او بهما **عظيم** صفة بلاء وفي الاية تنبيه
على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله
تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره
ليكون من خير المختبرين **واذ فرقنا بكم البحر** فلقناه
وفصلناه بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك
بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم تدوس
بنا الحاجم والتربيا وقرئ فرقنا على بناء التكثير
لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط **فانجيناكم**
واغرقنا ال فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر
على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما
روى ان الحسن كان يقول اللهم صل على محمد ال محمد

اى

اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه **وانتم تنظرون**
ذالك اى غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن
طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل
او ينظر بعضكم بعضا روى انه تعالى امر موسى ان يسرى
بني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم
على شاطي البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر
فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها
فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا فلا نعلم
ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر
ثم لما وصل اليه فرعون وراه منفلقا اقتحم فيه هو
وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم
ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل
ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم
وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل
وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذالك
فهم بمعزل في الفطنة والذكا وسلامة النفس وحسن
الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان تواتر
من معجزاته امور نظرية مثل القران والتحدي به والفضائل
المجتمعة فيه المشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

دقيقة تدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها
من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ واعدنا موسى
اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون
وعد الله موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر
الشهور وقرء ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة
والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعد موسى
المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الاها ومعبودا
من بعده من بعد موسى ومضيه وانتم ظالمون
باشراككم ثم عفونا عنكم من حين تبتم والعفو محو
الجريمة من عفى اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم
تشكرون اي تشكروا عفوه واذ اتينا موسى الكتاب
والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة
يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته
الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر
والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر
الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان
يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر
الكتاب والتفكر في الايات واذ قال موسى لقومه يا

قوم

يا قوم انكم ظلمتم انفسكم اتخاذكم العجل فتوبوا
الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم
بريئا من التفاوت ومتميزا بعضها عن بعض بصور
وهيئات مختلفة واصل التركيب للخلوص الشيء عن غيره
اما على التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون
من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله ادم من الطين
او فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او
قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها
ومن لم يقتلها لم يحييها وقيل امروا ان يقتل بعضهم
بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي
ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي
لامر الله فارسل ضبابة وسحابة سودا لا يتباصرون
فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى
وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى
سبعين الفا والفا الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب
ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة عن الشرك
ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فتاب
عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه
السلام لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب

عليكم وعطف على المحذوف وان جعلته خطابا من الله تعالى
لهم على طريق الالتفات كانه قيل قال فعلتم ما امرتم به
فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه
اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا
عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في
الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان تسترد
منه ولذلك امروا بالقتل وذالك التركيب انه هو
التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها
من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم يا
موسى لن نؤمن لك لاجل قولك اولن نقر لك حتى
نرى الله جهرة عيانا في الاصل مصدر كقولك جهرت
بالقراة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر
لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول
وقرئ جهرة بالفتح على مصدر كالغلبة او جمع
جاهر كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون
الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة الاف
من قومه والمؤمن به ان الله اعطاك التوراة وكلمك
او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد
والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه

الا

الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات
والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية
منزهة عن الكيفية وذالك للمؤمنين في الاخرة والافراد
من الانبيا في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من
السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا احسيسها
فخروا صاعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون
ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم
بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم
كقوله تعالى ثم بعثناكم لعلكم تشكرون نعمة البعث او
ما كفرتموه لما رايتم من باس الله به الصاعقة وظللنا
عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس
حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم في التمام المن والسلوى
اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل
الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني
قيل وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوءه وكانت
ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم
على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان
كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بالكفران لانه لا يتخطاهم ضره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية

يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا
منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال
من الضمير الواو وادخلوا الباب اي باب القرية التي او
القبة التي يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس
في حياة موسى عليه السلام سجدا متطامنين مخبتين
او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة
اي مسئلتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة
وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه
مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة
اي ان نحط في هذه القرية ونقيم فيها نغفر لكم خطاياكم
بسجودكم ودعائكم قرء نافع بالياء وابن عامر بالتاء
على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايي كخطايع
فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد
الالف واجتمعت الهمزتان فابدلت الثانية ثم قلبت
الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت يا وعند
الخليل قدمت الهمزة على اليا ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد
المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسئ وسبب
زيادة الثواب للمحسنين واخرجه عن صورة الجواب
الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم

يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة فبدل الذين
ظلموا قولا غير الذي قيل لهم كرره مبالغة بدلوا بما امروا به
من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض
الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم
واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المامور
به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها
الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل
ما يعاف منه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه
والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة اربعة
وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما
عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه
للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه
وكانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين
في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر
اثنى عشر ميلا او حجرا اخرجه ادم من الجنة ووقع
الى شعيب فاعطاه موسى مع العصا او الحجر الذي
فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبراه الله به
عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبرائيل

يحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره ان يضرب
حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة
فيها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل
فيتفجر ويضربه به اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد
موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة
وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل
وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من اس
الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه
اثنتى عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان
ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما في قوله تعالى فتاب
عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه
قد علم كل اناس متعلق بمحذوف كل سبط مشربهم عينهم
التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق
الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون
وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت منه ولا
تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم انما
قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد
كمقابلة الظالم المتعدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا
راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ونظيره

الغيث

بالغيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال
هذه المعجزة فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجايب
صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر
وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا
يسخره لجذب الماء من تحت الارض ولجذب الهواء
من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذالك
واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد
به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته
انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مايدة الامير
واحد يريدون انه لا يتغير الوانه ولذالك اجموا
او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا
فلاحة فنزعوا الى عسكرهم واشتهوا ما الفوه فادع
لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا
ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب
الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة
القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها
وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع
الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبته الارض
من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة

ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرى قثائها بالضم
وهو لغة قال اى الله او موسى اتستبدلون الذى هو
ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب فى المكان
فاستعير للخسة كما استعير البعد فى الشرف والرفعة فقيل
بعيد الهمة بعيد المحل وقرى ادنا من الدناءة بالذى هو
خير يريد به المن والسلوى فانه خير فى اللذة والنفع
وعدم الحاجة الى السعى اهبطوا مصرا انحدروا اليه
من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج
منه وقرى بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين
الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه
او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون فى مصحف ابن
مسعود وقيل اصله مصرايم فعرب فان لكم ما سالتم
وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة
القبة لمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين
على الحايط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود فى غالب الامر
اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان
تضاعف جزيتهم وباؤا بغضب من الله رجعوا به
او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان
حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة ذلك اشارة

الى ما

الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التى من جملتها ما عد
عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى
وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل
والقران واية الرجم والتى فيها نعت محمد صلى الله عليه
وسلم من التوراة وقتلهم الانبيا فانهم قتلوا شعيبا
وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم
ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك
اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون اى جرهم العصيان
والتمادى والاعتداء فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين
فان صغار الذنوب تؤدى الى ارتكاب كبايرها كما ان
صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحرى كبارها وقيل
كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر
والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم
حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى
مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا
على تاويل ما ذكر او تقدم للاقتصار ونظيره فى الضمير

قول رؤبة يصف بقرة فيها خطوط من سواد وبلق كانه
في الجلد توليع البهق والذى حسن ذالك ان تثنية المضمرات
والمبهمات وجمعها وتانيثها ليس على الحقيقة ولذالك
جاء الذى بمعنى جمع ان الذين امنوا بالسنتهم يريد
به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين
منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في
سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد و
تهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد
اذا تاب سموا بذالك لما تابوا عن عبادة العجل واما
معرب يهودا فكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب
عليه السلام والنصارى جمع نصران كندامى واليا
في نصراني للمبالغة كما في احمرى سموا بذالك لانهم نصروا
المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران
او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها والصابئين
قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم
دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة
وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبا
اذا خرج وقرا نافع وحده بالياء اما لانه خفف
الهمزة او لانه خفيف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم

مالوا

70

مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل
من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا من كان منهم
في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه وبالمبدء والمعاد
عاملا بمقتضى شرعه وقيل من امن من هولاء الكفرة
ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا صادقا فلهم
اجرهم عند ربهم الذى وعد لهم على ايمانهم وعملهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من
العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت
الثواب ومن مبتدء خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان
او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن
المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها
خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى
ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا
فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى
والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى
اعطيتم الميثاق روى ان موسى عليه السلام لما
جاءهم بالتوراة فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة
كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرائيل بقطع الطور
فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول

ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه
ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب
او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء
منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق
بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا
ثم توليتم من بعد ذالك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد
عهوده اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم
للتوبة او محمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم
اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي
او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل
لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا
وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده
عند سيبويه مبتدا خبره واجب الحذف لدلالة
الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين
فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم
في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر
سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع
امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم
في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذالك

انهم

انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا
كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك
واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا
وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها
يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا
قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء
وهو الصغار والطرد فقال مجاهد ما مسخت صورتهم
ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله
تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا
قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم
صاروا كذالك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف
وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها اي المسخة
والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه
ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها
وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين
واشتهرت قصتهم في الاخرين او لمعاصريهم ومن
بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد منها
ولاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها
من ذنوبهم وما تاخر عنها وموعظة للمتقين

من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله
تعالى واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها وانما فكت عنه
وقدمت عليه لاستقبا له بنوع اخر من مساويهم
وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك
المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيه شيخ
موسر فقتل ابنه بنوا اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه
على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله
ان تذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر
بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا مكان هزؤ او اهله او مهزوا
بنا والهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله
واستخفافا به وقرئ حمزة واسماعيل عن نافع بالسكون
وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذالك
جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمى به على طريقة البرهان
واخرج ذالك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها
وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسئال
به عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا به على حال
لم

لم يوجد فيها شئ من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا
حقيقته ولم يرو مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض
ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا
من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر
للاولية ومنه البكرة والباكورة اضيف اليها بين فانه
لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء
تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة
ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر
ذالك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة
ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل
الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص
والحق جوازهما ويؤيده الراي ظاهر اللفظ والمروي
عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزاتهم
ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم
بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا
ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله ا
امرتك الخير فافعل ما امرت به وامركم بمعنى مامودكم
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول
انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة

ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود
حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسة
بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها
وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله
تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك
ركابي هن صفراء ولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة
عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل يعلوه
صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع
تسر الناظرين اى تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب
عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف
زايد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار لما فيه عنه
اى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه
علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر
والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء
وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا
ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير
ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة وانا ان
شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي

الحديث

بالحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم لاخر الابد واحتج
بها اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر
قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر
معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب
بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة
لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اى لم تذلل
للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير
ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان
صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ
لا ذلول بالفتح اى حيث هي كقولك مررت برجل
لا بخيل ولا جبان اى حيث هو وتسقي من اسقى
مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها
من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا اخلص
له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها
وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط
بلونه لونا اخر قالوا الان جئت بالحق اى بحقيقة
وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ الان جئت بالمد
على الاستفهام و لان بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا

البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون
لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم ولخوف الفضيحة في
ظهور القاتل ولغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا
منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني
استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة
بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى
اشتروها بملء جلدها ذهبا وكانت البقرة اذ
ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع
لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي معناه الاثبات
مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال
ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها
لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا
حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا
كالمضطر الملجئ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب للجمع
لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في
شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم
بان طرح كلٌ قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله
تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل
والله مخرج ما كنتم تكتمون يظهره لا محالة واعمل مخرج

لانه

لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال
ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما
اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص
او القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها
وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن
وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على حذف
وهو فاضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حياة القتيل
او نزول الاية ويريكم اياته دلائله على كمال قدرته لعلكم
تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء
نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته
ولعله تعالى انما لم يحييه ابتداء وشرط فيه ما شرط
لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه
على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق
الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن
ويغالي ثمنه كما روي عن عمر رضي الله انه ضحى بنجيبة
بثلاثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله واسباب
الامارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه
الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح
بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها

شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت مجبة
رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة من دنسها
لاسمة لها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه
فيحيى حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع
ما بين العقل والوهم من التدارء والتنازع ثم قست قلوبكم
القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة
القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة
من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الايات
فانها مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها
او اشد قسوة والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائد
عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده
قراءة الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى
لما في اشد المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين
او اشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى
ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى
منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها
لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من
خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر

وتنفعل

وتنفعل فان منها ما يشقق فينبع منه الماء وتنفجر منه
الانهار ومنه ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد
الله تعالى به وقلوب هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امره
والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد
وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة وتلزمها اللام
الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله
بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع
ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون
بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين
ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم عن
اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون
كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه
وآية الرجم او تأويله ويفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء
من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم
موسى عليه السلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول
في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا
وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه
بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم
مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم

كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهالتهم
وانهم كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا
الذين امنوا يعني منافقيهم قالوا امنا بانكم على الحق
ورسولكم هو المبشر به في التوراة واذا خلا بعضهم
الى بعض قالوا اى الذين لم ينافقوا منهم عاتبين
على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم
في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم والذين نافقوا
لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن
ابدا ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام
على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند
ربكم ليحتجوا به عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا
محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال
عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند
ذكر ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة
وفيه نظر اذ الاخفا لا يدفعها افلا تعقلون اما تمام
كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجوكم به
فيحجوكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله
افتطمعون والمعنى افلا يعقلون حالهم وان لا مطمع لكم
في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين

او

او كلاهما واياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما
يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان
واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم
عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون
الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة
ويتحققوا ما فيها والتوراة الا اماني استثناء منقطع
والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان
في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى
ما يتمنى وما يقرء والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب
اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة
سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان
هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما
معدودة وقيل الا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة
المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمني
داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم
بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون
لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل راى واعتقاد
من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد
والزائغ عن الحق بشبهة فويل لهم اى تحسر وهلك

من قال انه واد او جبل في جهنم الخ فمعناه ان فيها موضعا
يتبوؤ فيها من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا
وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به
نكرة لانه دعا للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله
اراد به ماكتبوه من التاويلات الزايغة بايديهم
تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند
الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من
اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما
استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت
ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يعني الرشى
وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشي بالبشرة
بحيث تتاثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك
يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة محصورة
قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة
العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة
الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما
قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون
وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون
بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط
مقدر

مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا وفيه دليل على ان
الخلف في خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون
ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن
على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة
بمعنى بل تقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما
نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا
طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان
قولهم ويختص بجواب النفي من كسب سيئة
قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال
فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد
بالعرض لانها من الخطا والكسب استجلاب النفع
وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب
اليم واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت
جوانبه جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو
عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر
لان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار
لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف
بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع
عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه

وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب
وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي
مستحسنا اياها معتقدا انه لا لذة سواها مبغضا
لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله
تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوئى ان كذبوا
بايات الله وقرء نافع خطيئاته وقرئ خطيته
وخطيّاته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب
النار ملازموها في الاخرة كما انهم ملازمون اسبابها
في الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا
طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة
وكذا التي قبلها والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه
وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى
عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن
مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله
اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا
شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام
ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده
قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة

القول

القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان
لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف
الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال
حلّفناهم لا يعبدون وقرء نافع وابن عامر وابو
عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا
به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا
متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا وذي
القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى
جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل
من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا
اى قولوا للناس حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرء
حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ
حُسُنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى
على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم
في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب
مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن قبلهم على التغليب اى اعرضتم عن الميثاق

او رفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية
على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون
قوم عادتكم الاعراض عن الوفا والطاعة واصل الاعراض
الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم
من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضكم
بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل
غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا ولانه يوجبه
قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم
واخراجكم على دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ما يرديكم
ويصرفكم عن الحيوة الابدية فان القتل في الحقيقة
ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم
فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم
بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهدا
على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون
على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا
ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والا
قرار به والشهادة عليه وانتم هو مبتدا وهؤلاء خبره
على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت

ذلك

ذالك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة
تغير الذوات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا
او باعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون
انفسكم وتخرجون فريقا منكم من دياركم اما حال
والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل
هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة
صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل
تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون
من الظهر وقرء عاصم والكسائي وحمزة بحذف
احدى التائين وقرئ باظهارها وتظهرون بمعنى
تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفدوهم روى
ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء
الخزرج فاذا اقتتلوا عاون كل فريق حلفاءه في القتل
وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من
الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان
ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون
لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم
كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرء

حمزة اسرى وهو جمع اسير وكانه شبه بالكسالى
وجمع جمعه وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر
تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض
والضمير للشان او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع
الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد
او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون
ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من
يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة
وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم
واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل
منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب لان
عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد
اي الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم
وقرا عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب
لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون
على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف
عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب

الاخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد اتينا
موسى الكتاب يعني التوراة وقفينا من بعده بالرسل
اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى
يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه اياه من
القفا نحو ذنبه من الذنب واتينا عيسى ابن مريم
البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل وعيسى
بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية
من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير
لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل و
ايدناه قويناه وقرئ ايدناه بروح القدس بالروح المقدسة
كقولك حاتم الجود ورجل صدق واراد به جبرائيل
وقيل روح عيسى عليه السلام ووصفها به لطهارته
من مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافه
الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث
او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى
وقرا ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القران
افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال

هوى انا احب وهوى بالفتح هوِيا بالضم سقط ووسطت
الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم
ذالك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استيناف
والفا للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان والاتباع
الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى عليهما السلام والفاء
للسببية او التفصير وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى
وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية ا
استحضار لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة
للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد
لولا اني اعصمه منكم ولذالك سحرتموه وسممتم له الشاة
وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها
ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى
لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها
اوعية العلم لا يسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او
نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم
رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من
قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم
او انها لم تاب قبول ما يقول لخلل فيه بل لان الله

خذلهم

خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم
او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم و
والاستغنا عنك فقليلا ما يومنون فايمانا قليلا و
يومنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم
ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم
كتاب من عند الله يعني القران مصدق لما معهم من
كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه
بالوصف وجواب لما محذوف دل على جواب لما الثانية
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اى يستنصرون
على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان
المنعوت في التوراة او يفتحون عليهم ويعرفونهم
ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة
والاشعار بان الفاعل يسال ذالك عن نفسه ولما
جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة
فلعنة الله على الكافرين اى عليهم واتى بالمظهر للدلالة
على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان
يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام
فيهم بئس ما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة
لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا

واشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم
من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص
بالذم بغيا طلبا ما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفرون
دون اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل او حسدوه
على ان ينزل الله وقرء ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف من
فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة
فباؤا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق
وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين
عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه
طهرة لذنوبه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله من حق اخملده
يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي التوراة
ويكفرون بما وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر
جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو
خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك
عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القران
مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم
لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها فلم تقتلون انبياء
الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء
مع ادعاء الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغه وانما

اسنده

اسنده اليهم لانه فعل اباءهم وانهم راضون به عازمون
عليه وقرء نافع وحده انبياء الله بالهمز في كل القران
ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الايات التسع المذكورة
في قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ثم
اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجيء موسى عليه السلام
او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم
العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بايات الله او
اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الاية ايضا
لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم
مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير
القصة وكذا ما بعده واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا
ما امرتم به في التوراة بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا
سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل
تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم
به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن
وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون
في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا
مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن

فى قلوبهم ما سول لهم السامرى قل بئسما يامركم به ايمانكم
اى بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر
او ما يعمه وغيره من قبايحهم المعدودة فى الايات
الثلاث او الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح
فى دعواهم الايمان بالتوراة وتقديره ان كنتم مؤمنين
بها فبئس ما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغى ان
لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يامر به
فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند
الله خالصة خاصة لكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصبها على الحال من الدار من دون الناس سائرهم
او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص
اليها من الدار ذات الشوايب كما قال على رضى الله عنه
حين يطوف بين صفين لا ابالى سقطت على الموت او
سقط الموت على وقال عمار رضى الله عنه بصفين الان
الاقى الاحبه محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر
جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اى على التمنى سيما اذا
علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا
بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد والقران

وتحريف

وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان
الة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها
عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب
وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمنى ليس
من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان
بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبى صلى الله لو تمنوا
الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى على
وجه الارض يهودى والله عليم بالظالمين تهديد لهم
وتنبيه على انهم ظالمون فى دعوى ما ليس لهم ونفيه
عن من هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد
فى عقله بالجارى مجرى علم ومفعولاه هم واحرص وتنكيره
حياة لانه اريد فرد من افرادها وهى الحياة المتطاولة وقرئ
بالام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى وكانه قال احرص
من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة
فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة
فى التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون با
الجزاء على حرص المنكرين ودل على ذالك على علمهم بانهم صا
يرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا

فحذف للدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف في صفة
يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا
عزير ابن الله اي منهم ناس يود احدهم وهو على الاولين
بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف **لو يعمر الف سنة**
حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى
على الغيبة لقوله يود كقوله حلف بالله ليفعلن
وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم
وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمزحزحه من النار
تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان
يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل
سنهة كجبهة سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت
عليها السنون والزحزحة التبعيد **والله بصير بما يعملون**
فيجازيهم **قل من كان عدوا لجبريل** نزل في عبد الله بن
صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل
عليه فقال جبرائيل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا
واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه
بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه
جبرائيل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم
عليه والا فبما تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه مدارس

اليهود

اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا
يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل
صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله
فقالوا جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما
عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين
ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا احدهما فهو عدو الله
تعالى ثم رجع عمر فوجد جبرائيل قد سبقه بالوحي فقال عليه
السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبرائيل ثمان لغات قرئ
بهن اربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قرئ حمزة
والكسائي وجبرائيل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن
كثير وجبرءل كجحمرش قراءة عاصم برواية ابي بكر وجبريل
كقنديل قراءة الباقين واربع في الشواذ جبرائل
وجبراييل وجبرايل وجبرين ومنع صرفه للعجمة و
التعريف ومعناه عبد الله **فانه نزله** البارز الاول
لجبريل والثاني للقرآن او اضماره غير مذكور يدل على فخامة
شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره
على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان
حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما
تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل **باذن الله** اي بامره

او تيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى
وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر ان
جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد
خلع ربقة الانصاف وكفر بما معه من الكتاب بمعاداته
اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب
المقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه
فالسبب في عداوته انه نزله عليك وقيل محذوف مثل
فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان
عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله
عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او
معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما
لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافراد
الملكان بالذكر لفضلهما كانهما جنس اخر والتنبيه
على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب
العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى
الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد
ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر
للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة
والرسل كفر وقرا نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب

وعاصم

وعاصم ميكال كميعاد وقرئ ميكئيل وميكئل
وميكال ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها
الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا
استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز
عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية
فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو
للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالايات وكلما عاهدوا
وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا
او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم
نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما
قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون
رد لما يتوهم ان الفريق منهم الاقلون او ان من لم
ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفا ولما جاءهم رسول الله
من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد صلى الله عليهما
وسلم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني
التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما
يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين
بالايات وقيل ما مع الرسول وهو القران وراء ظهورهم

مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء
الظهور لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه
كتاب الله يعنى ان علمهم به ولكن يتجاهلون عنادا
واعلم انه تعالى دل بالايتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة
امنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمومنى اهل الكتاب وهم
الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون فرقة
جاهروا بنبذ عهودها وتخطى حدودها تمردا وفسوقا
وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم
يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون
وفرقة تمسكوا ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين
بالحال بغيا وعدوا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا
الشياطين عطف على نبذوا اى نبذوا كتاب الله واتبعوا
كتب السحر تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس
او منهما على ملك سليمان اى عهده وتتلوا حكاية حال ماضية
قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا الاكاذيب
ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس
وفشا ذالك فى عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب
وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه سخر به الانس
والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذالك

وعبر

وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا
معصوما ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرء ابن
عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين
يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد
بالسحر ما يستعان فى تحصيله بالتقرب الى الشياطين
ما لا يستقل به الانسان وذالك لا يستتب الا لمن
يناسبه فى الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط
فى التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبى والولى
واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات
والادوية او يريك صاحب خفة فغير مذموم وتسميته
سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه فى الاصل لما خفى سببه
وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد
والعطف والعطف والعطف لتغاير الاعتبار الاعتبار
او لانه نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا
لتعلم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة
وما روى انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا
لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم
صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكى عن اليهود
ولعله من رموز الاوايل وحله لا يخفى على ذوى البصائر وقيل

رجلان رجلان سمي وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار
صلاحهما ويؤيده الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي
معطوف على كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل
ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه
بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان
للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت
والمرت بمعنى الكسر لانصرفا بيان للملكين ومنع صرفهما
للعجمة ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل
الكل البعض وبين وهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما
هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما
نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احد
تنصيحا ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء من الله فمن
تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان
فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم
السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من
اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا
مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل
عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اى من السحر
ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا

باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات
بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى
احد وجعل الجار جزء منه والفصل بالظرف ويتعلمون
ما يضرهم لانهم يعتقدون به العمل ولان العلم غالبا
ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع
في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اليهود
لمن اشتريه اى استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله
والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له
في الاخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم
يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه
او يعلمون قبحة على اليقين او حقيقة ما يتبعه من
العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي
او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتيب العقاب من غير
تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من يعمل
بما علم كان كمن لا يعلم ولو انهم امنوا بالرسل والكتاب واتقوا
بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من
عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله
خير مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي
جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها

وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه
وتنكير المثوبة لان المعنى لشئ من الثواب خير وقيل لو للتمنى
ولمثوبة كلام مبتدا وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمى
الجزا ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا
يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم
لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا الرعى حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون
يقولون لرسول الله راعنا اى راقبنا وتأن بنا فيما
تلقنا حتى نفهمه وسمعه اليهود فافترصوه وخاطبوه
به مريدين نسبة الى الرعن او شتمه بالكلمة التى العبرانية
التى كانوا يتسابون بها وهى راعنا فنهى المومنون
عنها وامروا بما يفيد تلك الفايدة ولا يقبل التلبيس
وهو انظرنا بمعنى انظر الينا وانتظرنا من نظره اذا
انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اى امهلنا لنحفظ
وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين
اى قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم
راعينا وتسبيب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع
حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول
لا كسماع اليهود او اسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا

الى

الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعنى اى الذين
تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من
اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود
يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم
الخير والود محبة الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل
فى كل منهما ومن للتبيين كما فى قوله تعالى لم يكن الذين
كفروا من اهل الكتاب ان ينزل عليكم من خير من ربكم
مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية
للابتداء او فسر الخير بالوحى والمعنى انهم يحسدونكم
به وما يحبون ان ينزل عليكم شئ منه والعلم وبالنصرة
ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء
يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شئ و
ليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار
بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس
لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمه ما
ننسخ من اية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود
الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه
والنسخ فى اللغة ازالة الصورة عن الشئ واثباتها فى غيره
كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل

لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت
الكتاب ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها
او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها
عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به
على المفعولية لا مصدرية لانها عاملة ومن اية تمييز
والمميز ما والتقدير اي شيء ننسخ لا اي ننسخ لانك لا تجمع
بين هذا وبين التمييز باية وقرا ابن عامر ننسخ من انسخ
اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن
كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسا وقرئ
ننسها اي ننسي احدا اياها وتنسها اي انت وتنسها
على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين نأت بخير
منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب
او مثلها في الثواب وقرا ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم
ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل
المنسوخ وبما هو خير منه والاية دلت على جواز النسخ
وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور
المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح
العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك
يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش

فان

فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع
النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان
الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل
ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ
قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد
بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث
القران فان التغيير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما
من عوارض الامور المتعلق بها المعنى القائم بالذات القديمة
الم تعلم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو
وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ
علمهم ان الله له ملك السموات والارض وانما هو الذي
يملك اموركم ويجريها على مصالحكم والفرق بين
الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير
قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسألوا
رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم
تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر
وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت
اليهود على موسى عليه السلام او منقطعة والمراد ان
يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه وقيل نزلت

في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل عليهم كتابا من السما
وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا
نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء
السبيل ومن ترك الثقة بالايات وشك فيها واقترح
غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد
الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل
ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر
بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب
يعني احبارهم لو يردونكم ان يردوكم فان لو تنوب عن
ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين
وهو حال عن ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند
انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند
انفسهم وتشهيهم لا من قبيل التدين والميل مع
الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم
من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت
المذكورة في التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة
المذنب والصفح ترك تثريبه حتى ياتي الله بامره الذي
هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة
واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ

باية

باية التخفيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل
شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر
والمخالفة والملجا الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا
لانفسكم من خير كصلاة او صدقة وقرئ تقدموا من
اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير
لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا
عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين
قولي الفريقين كما في قوله كونوا هودا او نصارى ثقة
بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد
الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ لمن والمعنى تلك
امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على
المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل
الجنة غيرهم او الى ما في الاية على حذف المضاف اي امثال تلك
الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من
التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على
اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم
فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه

من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له
نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله
فله اجره الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده
لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية
وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط
فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز
ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت اليهود
ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود
على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد
نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار
اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب
الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل
العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل
قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة
والتشبيه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا
فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا
بذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله
والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منها حق واجب

القبول

القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل
فريق ما يليق به من العذاب وقيل حكمه بينهم
ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد
الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان
مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس
وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر
فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم
او التعطيل اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين
ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع
فضلا ان يجترئوا على تخريبها او ما كان لهم في علم الله
الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا
بهم فضلا عن ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم
الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص
المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي
عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه
فجوز ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين
المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي

او ذلة بضرب ناحيتي الجزية اى له الارض كلها لا
يختص به مكان الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم
بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما
ناحيتي الارض اى له الارض كلها لا يختص به مكان
دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى
فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اى مكان
فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اى جهته التى
امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او
فثم ذاته اى عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع
باحاطته بالاشيا او برحمته يريد به التوسعة على عباده
عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن
عمر انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم
عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا
تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطا
لم يلزمه التدارك وقيل هي توطية لنسخ القبلة وتنزيه
للمعبود ان يكون في حيز او جهة وقالوا اتخذ الله ولدا
نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح
ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه
على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرء

ابن

ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه
يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفنا الا ترى ان
الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية
مادام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان
والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض
رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما
في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح
كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيته وتكوينه
وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته
فلا يكون له ولدا لان من حق الولد ان يجانس والده وانما
جاء بما الذى لغير اولى العلم وقال قانتون على تغليب
اولى العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض من المضاف
اليه اى كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا
له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد
اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة
اوجه واحتج به الفقها على ان من ملك ولده عتق عليه
لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما
بديع السموات والارض مبدعها ونظيره السميع
في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته

وابدعه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها
ان الولد عنصر الولد المنفصل بانفصال مادته عنه والله
تعالى مبدع الاشيا كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال
فلا يكون له والدا والابداع والاختراع الشي لا عن شي
دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب
الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي
زمان غالبا وقرى بديع مجرورا على البدل من الضمير في
قوله منصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل
القضا اتمام الشي قولا كقوله تعالى وقضى ربك او فعلا
كقوله تعالى فقضيهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة
الالهية بوجود الشي من حيث انه يوجبه فانما يقول
له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وليس
المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت
به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف
وفيه تقرير لمعنى الابداع وايما الى حجة خامسة وهو ان
اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني
ذالك وقرا ابن عامر فيكون بنصب النون واعلم ان
السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة
كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب

الأول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه
تعالى هو الرب الاكبر حتى ظنت الجهلة منهم ان المراد به
معنى الولادة فاعتقدوا ذالك تقليدا ولذالك كفر قايله ومنع
منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون
اي جهلة المشركون او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا
الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله
او تاتينا اية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني
جحود ان ما اتاهم ايات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين
من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله
جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد
وقرى بتشديد الشين قد بينا الايات لقوم يوقنون
اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقايق لا يعتريهم
شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذالك لخفا
في الايات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا
انا ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا
عليك ان اصروا وكابروا ولا تسال عن اصحاب الجحيم
ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب
لا تسال على انه نهي للرسول عن السؤال عن حال ابويه او

تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر
عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن
السؤال والجحيم المتاجج من النار ولن ترضى عنك
اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط
الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع
ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى
الله عنهم ولذا لك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو
الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى
الحق لا ما يدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم اراءهم
الزايغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه
من امللت الكتاب اذا امليته والهوى رأي يتبع الشهوة
بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته
ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو
جواب لئن الذين اتيناهم الكتاب يريد مؤمني اهل
الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف
والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر
ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب
اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به
بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون

حيث

حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها
عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها
والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها كرر
ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا
بانه فذلكة القصة والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم
ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل الا
مر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة
الى من جهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن
وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط احد
المتقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت با
الخصال الثلاثين المحمودة في قوله تعالى التائبون العابدون
وقوله ان المسلمين الى اخر الايتين وقوله قد افلح المؤمنون
الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى
ادم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من الخبر وبما تضمنه
الايات بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات
مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد امنا

ليرى هن بجيبه وقرا ابن عامر ابراهام بالالف جميع
ما في هذه السورة وفي النسا ثلاثة احرف وهي الاخيرة وفي
الانعام الحرف الاخير وفي التوبة الحرفان الاخيران وفي
ابراهيم حرف وفي النحل حرفان وفي مريم ثلاثة احرف
وفي العنكبوت الحرف الاخير وفي حمعسق حرف وفي
الذاريات حرف وفي النجم حرف وفي الحديد حرف وفي الممتحنة
الحرف الاول فذالك ثلاثة وثلاثون حرفا وقرا ابن
ذكوان في البقرة خاصة بالوجهين فاتمهن فاداهن
كملا وقام بهن حق القيام لقوله وابراهيم الذي
وفى وفي الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما
دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استيناف ان
اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين
اتمهن فاجيب بذالك او بيان لقوله ابتلى لقوله
فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع
قواعده والاسلام وان نصبته يقال فالمجموع جملة
معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان
والامام اسم من يوتم به وامامته علمة مؤبدة اذا لم
يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباعه
قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي بعض ذريتي

كما

كما يقول وزيدا في جواب ساكرمك والذرية نسل الرجل
فعلية فعيلة او فعولة فقلبت واوها الثانية ياء كما
في تقيضيت من الذر بمعنى التفريق او فعوله او فعيلة
قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرى ذريتي بالكسر وهي
لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه
وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينا
لون الامامة لانها امانة من الله تعالى وعهده والظالم
لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقيا منهم وفيه دليل
على عصمة الانبيا من الكباير قبل البعثة وان الفاسق
لا يصلح للامامة وقرى الظالمون والمعنى واحد اذ كلما
نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب
عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه
اعيان الزوار وامثالهم او موضع ثواب يثابون
بحجه واعتماره وقرى مثابات لانه مثابة كل احد وامنا
موضع امن لا يتعرض لاهله كقوله تعالى حرما امنا
ويتخطف الناس من حولهم او يامن حاجه من
عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ
الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفه
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او عطف

على المقدر عاملا لاذ واعتراض معطوف على مضمر تقديره
وتوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلى الله
عليه وسلم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذى
فيه اثر قدميه والموضع الذى كان فيه حين قام عليه
ودعا الناس الى الحج او رفع بنا البيت وهو موضعه
اليوم روى انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام
ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك
فلم تغب الشمس حتى وقيل المراد به الامر بركعتى
الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه
عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى وللشافعى فى وجوبهما قولان
وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها
مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرا نافع
وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضى عطفا على جعلنا
اى واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعنى الكعبة قبلة
يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل امرناهما
ان طهرا بيتى بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة
لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان
والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله

والعاكفين

والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود
اى المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل
هذا يريد البلد او المكان بلدا امنا ذا امن كقوله فى عيشة
راضية او امنا اهله كقولك ليل نايم وارزق اهله من الثمرات
من امن منهم بالله واليوم الاخر بدل من امن اهله
بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى
وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه
تعالى ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة
والتقدم فى الدين او مبتدا تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا
خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله
بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل
الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار
اى الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته
به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ
الامر فيهما على انه من دعا ابراهيم وفى قال ضميره وقرا ابن
عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره الى عذاب
النار واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة
واطره بادغام الضاد فى الطاء وهو ضعيف لان حروف
ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس

المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ
يرفع ابراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية
والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من
القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل ومنه قعدك
الله ورفعها البنا عليها فانه ينقلها من هيئة الانخفاض
الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البنا
فان كل سافة قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها
وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعا
الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم
لشانها واسمعيل كان ينا وله الحجارة ولكنه لما كان له
مدخل في البنا عطف عليه وقيل كانا بنيان في طرفين
او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ
به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم
بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك
من اسلم وجهه او مسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد
طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ
مسلمين لك على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية
من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل
بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعا لانهم احق

با

بالشفقة ولانهم اذا صلحوا اصلح بهم الاتباع وخصا
بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة
الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي
على الله تعالى فيما فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل
لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد
صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله
تعالى وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل
به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن وارنا من راى بمعنى ابصر
او عرف ولذلك لم يتجاوز الى مفعولين مناسكنا متعبد
تنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاية غاية العبادة
وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ
ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو ويعقوب ارنا قياسا
على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة
الساقطة دليل عليها وقرا الدوري عن ابي عمرو بالاختلاف
وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا
ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك
انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة
المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد

صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال عليه
السلام انا دعوة ابى ابراهيم وبشرى عيسى ورويا امى يتلوا
عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلايل
التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القران والحكمة ما
يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك
والمعاصى انك انت العزيز الذى لا يقهر ولا يغلب على ما
يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد
وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغرا
اى لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من
استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب با
الكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له على ما جاء فى الحديث
الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصل سفه
نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم
راسه وقول جرير وتاخذ بعده بذناب عيش اجب
الظهر ليس له سنام او سفه فى نفسه فنصب بنزع
الخافض والمستثنى فى محل الرفع على المختار بدلا من الضمير
فى يرغب لانه فى معنى النفى ولقد اصطفيناه فى الدنيا
وانه فى الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان
من كان فى صفوة العباد فى الدنيا مشهودا له بالاستقامة

والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه
الا سفه نفسه او متسفه اذل نفسه بالجهل
والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب
العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار
اذكر كانه قيل اذكر الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق
للامامة والتقدم انه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان
واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلايله المؤدية
الى المعرفة الداعية الى الاسلام روى انها نزلت لما دعا
عبد الله ابن سلام ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام
فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية
هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها
الوصلة يقال وصّاه اذا وصله وفصّاه اذا فصله كان
الموصى يصل فعله بفعل الوصى والضمير فى بها للملة
او لقوله اسلمت على تاويل الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن
عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم
اى وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه
من وصاه ابراهيم يا بنى على اضمار القول عند
البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع
منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا

دجلا وعربانا بالكسر وبنوا ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل
واسحاق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة
عشر وبنوا يعقوب اثنى عشر روبين شمعون ولاوا
ويهودا وشنيوحو وذيلون وذدن ونفتولى وكودا
وشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الذين دين
الاسلام الذى هو صفوة الاديان لقوله تعالى فلا تموتن
الا وانتم مسلمون ظاهره النهى عن الموت على خلاف حال
الاسلام والمقصود هو النهى عن يكونوا على تلك الحال
اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا
وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على
الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم
ونظيره فى الامر مت وانت شهيد وروى ان اليهود قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى
بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر
يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
اى ما كنتم حاضرين اذ يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال
فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره
اكنتم غايبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين
والمعنى ما شهدتم ذالك وانما علمتموه بالوحى وقرئ حضر

بالك

بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من
بعدى اى شى تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد
والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل
به عن كل شى ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء عن اذا
سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه
ام طبيب قالوا نعبد الهك واله اباءك ابراهيم واسماعيل
واسحاق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته
وعد اسماعيل من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب
لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه كما قال فى العباس
رضى الله عنه هذا بقية اباى وقرئ اله ابيك على انه
جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا
بالابينا او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان الها
واحدا بدل من اله اباءك بالناصية ناصية كاذبة
وفايدته التصريح بالتوحيد ونفى التوهم الناشى من
تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او تاكيد او
نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل
نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا
تلك امة قد خلت يعنى ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة
فى الاصل المقصود ويسمى به الجماعة لان الفرق تامها

لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم
اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وتانونى بانتسابكم
وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه
السلام لا ياتينى الناس باعمالهم وتانونى بانسابكم
ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا تواخذون بسيآتهم كما لا
تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير
الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد
هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابراهيم
اى بل يكون ملة ابراهيم اى اهل ملته بمعنى نحن اهل ملته
حنيفا مايلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف
اليه كقوله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل حوانا وما كان
من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون
اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمومنين
لقوله فان امنوا بمثل ما امنتم منه وما انزل الينا يعنى
القرآن قدم ذكره لانه اول وبالاضافة الينا او سبب للايمان
بغيره وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والا
سباط الصحف وهى وان نزلت على ابراهيم لكنهم لما
كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها

فهى

فهى ايضا بمنزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط
جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناؤهما
وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتى موسى
وعيسى التوراة والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان
امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغايرة لما سبق
والنزاع وقع فيهما وما اوتى النبيون جملة المذكورين
منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم
لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر
ببعض واحد لوقوعه فى سياق النفى عام فساغ ان
يضاف اليه بين ونحن له اى لله مسلمون مذعنون
مخلصون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا من باب
التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله اذ لا
مثل لما امن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء
للالة دون التعدية والمعنى ان تحروا للايمان بطريق يهدى
الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق
او مزيدة للتاكيد كقوله تعالى جزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى
فان امنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما فى قوله
وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله اى عليه ويشهد له قراءة
من قرأ بما امنتم به اى بالذى امنتم به وان تولوا فانما هم فى

شقاق اى ان اعرضوا عن الايمان او عما يقولون لهم فيما
هم الا فى شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد
من المتخالفين فى شق غير شق الاخر فسيكفيكهم الله
تسلية وتسكين للمومنين ووعدهم بالحفظ والنصر على
من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه
يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او
وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما
يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اى صبغنا الله
صبغته وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها فانها حلية
الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته
وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه
صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل
فى قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى
كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون
هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر
مؤكد لقوله امنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم
ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته
ونحن له عابدون تعريض بهم اى لا نشرك به كشركهم وهو
عطف على امنا وذلك يقتضى دخول قوله صبغة الله

مفعول

فى مفعول قولوا لمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر
قولوا عطفا على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا
امنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم ذالك النظم وسوء الترتيب
قل اتحاجوننا اتجادلوننا فى الله فى شانه واصطفائه
نبيا من العرب دونكم روى ان اهل الكتاب قالوا
الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا كنت منا فنزلت وهو
ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته
من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ولا يبعد
ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه
افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من
يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين
لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص فكما ان لكم
اعمالا ربما يعتبرها الله فى اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن
له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والطاعة
دونكم ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط كانوا هودا او نصارى تهتدوا قل ءانتم
اعلم ام الله ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن
عامر وحمزة والكسائى وحفص بالتاء يحتمل ان يكون معادلة
للهمزة فى اتحاجوننا بمعنى اى الامرين نفى الامرين عن ابراهيم

بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه
بقوله وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده وهولاء
المعطوفون عليه اتباعه فى الدين وفاقا ومن اظلم ممن
كتم شهادة عنده من الله يعنى شهادة الله لابراهيم
بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا
احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا
لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله
تعالى لمحمد بالنبوة فى كتبهم وغيرها ومن للابتداء
كما فى قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم
وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما
كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة
فى التحذير والزجر عما استحكم فى الطباع من الافتخار بالآبا
والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفى الاية تحذير عن
الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة فى الاول الانبيا وفى الثانى اسلاف
اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خف
احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد
المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين
وفايدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب
ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التى كانوا عليها يعنى بيت

المقد

المقدس والقبلة فى الاصل الحال التى عليها الانسان من
١٠ الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلاة
قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية
ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره
لا بخصوص المكان يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وهو
ما يرتضيه الحكمة وتقتضى المصلحة من التوجه الى البيت
المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم
الاية المتقدمة اى كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم
وجعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا
اى خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو فى الاصل اسم
المكان الذى تستوى اليه المساحة من الجوانب ثم استعير
للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط وتفريط كالجود بين
الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على
المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
كساير الاسماء التى يوصف بها واستدل به على ان الاجماع
حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة
للجعل اى لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل اليكم من
الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل

فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع
الشهوات والاعراض عن الايات فتشهدون بذالك على معاصريكم
وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون
تبليغ الانبيا فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم
بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله
عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون
علمنا ذالك باخبار الله فى كتابه الناطق على لسان نبيه
الصادق فيؤتى بمحمد فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم
وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول
كالرقيب المهيمن على امته عدى بعلى وقدمت الصلة
للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم
وما جعلنا القبلة التى كنت عليها اى الجهة التى كنت عليها
وهى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها بمكة ثم
لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة تاليفا لليهود او
الصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان
يجعل الكعبة بينه وبين المخبر عنه على الاول الجعل الناسخ
وعلى الثانى المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة
وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك

فى

فى الصلاة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه
او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض
يزول بزواله على الاول معناه ما رددناك الى التى كنت عليها
الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه
وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية للجعل
وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق
الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا
وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم
خواصه او لنميز الثابت عن المتزلزل لقوله تعالى ليميز
الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب
عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى
المعرفة او معلق لما فى من من معنى الاستفهام او مفعوله الثانى
ممن ينقلب اى لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب
وان كانت لكبيرة ان المخففة من الثقيلة واللام هى الفاصلة
وقال الكوفيون هى النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه
قوله وما جعلنا القبلة التى كنت عليها من الجعلة او الردة
او التولية او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون
كان زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين
على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اى ثباتكم

عن الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلاتكم اليها لما
روى عليه السلام لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله
قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم
فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف
وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص
لرؤف بالمد والباقون بالقصر قد نرى ربما نرى تقلب وجهك
في السماء تردد وجهك في السماء تطلعا للوحي وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله
الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى
للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه
حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها
من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها
ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت
مشيئة الله وحكمته فول وجهك اي اصرف وجهك شطر
المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء
من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم
استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم
فيه القتال وممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد
دون الكعبة لانه عليه السلام كان في المدينة والبعيد يكفيه

مراعاة

مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب
روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس
ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال
قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني
سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل
الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد
مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص
الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا بالرغبة ثم عمم تصريحا
بعموم الحكم وتاكيد الامر الكعبة وتحضيضا للامة على المتابعة
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة
لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا
لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه
وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء ولئن اتيت الذين
اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة
واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم
المضمر والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى
ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة
وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم

قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذى
ننتظره تعزيرا له وطمعا فى رجوعه وقبلتهم وان تعددت
لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم تابع
قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى
مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك
لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم
من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اى
ولئن اتبعتهم مثلا بعد بان لك الحق وجاءك فيه
الوحى انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه
من سبعة اوجه الاتيان باللام الموطئة للقسم القسم
المضمر حرف التحقيق وهى ان تركيبه من جملة اسمية الاتيان
باللام فى الخبر جعله من الظالمين ولم يقل انك ظالم فان
فى الاندراج معهم ايهام بحصول انواع الظلم لا التقييد
بمجئ العلم الى تعيضما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا
من متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبيا
الذين اتيناهم الكتاب يعنى علماءهم يعرفونه الضمير لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه
عليه وقيل للعلم او القران او التحويل كما يعرفون ابناءهم
يشهد للاول اى يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم

لا يلتبسون

لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضى الله انه سال عبد الله
ابن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به منى
بابنى قال ولم قال انى لست اشك فى محمد انه نبى فاما ولدى
فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم
يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن امن الحق من ربك كلام
مستانف والحق اما مبتدا خبره من ربك واللام للعهد والاشارة
الى ما عليه الرسول او الحق الذى يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق
ما ثبت انه من الله تعالى كالذى انت عليه لا ما لم يثبت كالذى عليه
اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف اى هو الحق من ربك حال
او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول
تعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين فى انه من ربك او فى
كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهى الرسول عن الشك
فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق
الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او الامر للامة باكتساب المعارف
المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة
او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين
بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف اى هو موليها
وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ لكل وجهة بالاضافة
والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد

جبر الضعف العاص وقرا ابن عامر مولاها اى هو مولا
تلك الجهة قد وليها **فاستبقوا الخيرات** من امر القبلة وغيره
مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهى
المسامتة للكعبة **اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا**
فى اى موضع تكونوا من موافق ومخالف يجمع الاجزاء ومفترقها
يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض
وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المقابلة
يأت بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم كانها الى جهة واحدة
ان الله على كل شئ قدير فيقدر على الاماتة والاحيا والجمع
ومن حيث خرجت ومن اى مكان خرجت للسفر **فول**
وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت **وانه** اى وان هذا
الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما يعملون ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه
تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول بابتغاء
مرضاته وجرى العادة الالهية ان يولى كل اهل ملة وصاحب
دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين
على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل
واحد من دلايله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان

والنسخ

والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى ان
يوكد امرها ويعاد مرة بعد اخرى **لئلا يكون للناس**
عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة
الى الكعبة بدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التوراة
قبلته الكعبة وان محمد يجحد ديننا ويتبعنا فى قبلتنا
والمشركين بانه يدعى ملة ابرهيم ويخالف قبلته **الا الذين**
ظلموا منهم استثنا من الناس اى لئلا يكون لاحد من الناس
حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة
الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة
ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة لقوله
حجتهم داحضة لانهم يسوقون مساقها وقيل الحجة
بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثنا للمبالغة فى نفى الحجة راسا
لقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من
قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين
ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه **فلا تخشوهم** فلا
تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم **واخشونى** فلا تخالفوا
ما امرتكم **ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون** علة محذوف
اى وامرتكم لاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداكم او عطف
على علة مقدرة مثل واخشونى لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتى

عليكم او لئلا يكون و في الحديث تمام النعمة دخول الجنة
وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا
فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اى ولاتم نعمتي عليكم في امر
القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما
بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلوا عليكم
اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكيا قدمه
باعتبار القصد في اخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالتفكر
والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل
على انه جنس اخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب
واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم
وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر
عن المعاصي وحظوظ الانفس والصلاة التي هي ام
العبادة ومعراج المؤمنين ومناجات رب العالمين
ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة المؤمنين الدعوة
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اى هم اموات
بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه
على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به
من الحيوانات وانما هو امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي

وعن

عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب
ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا اى تطلبوا فضلا
من ربكم عطاء ورزقا منه يريد ربح بالتجارة وقيل كانت
عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها
مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا
منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة
من افضت الما اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم
فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات
جمع سمي كاذرعات وانما نون وكسر فيه العلمية والتانيث
لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين ولذلك
يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من
غير عوض لعدم الصرف وهاهنا ليس ذلك اولان التانيث
انما يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تا تانيث وانما هي مع الا
لف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في
سعادة ولا يصح تقديرها لان المذكورة يمنعه من حيث
انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما
سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره
عرفه اولان جبرائيل كان يدور به في المشاعر فلما راه قال
قد عرفت اولان ادم وحوى التقيا فيه فتعارفا اولان

الناس يتعادون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهو من
الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب
الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي
مامور بها بقوله ثم افيضوا ومقدمة للذكر المامور به
وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذ
كروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين
عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل
ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى
جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس
ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل
واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف
بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه
فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه
كما هداكم كما علمكم واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة
الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله
اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة
وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى
الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض
الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا

يقفون بجمع وساير الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم
فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين
كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من
مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب
عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد ادم من قوله تعالى
فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه
واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه
ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه
فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم
منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه
كما تفعلون بذكر اباءكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا
مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون
مفاخر اباءهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور
معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى
فاذكروا الله ذكرا كذكركم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما
اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا
واما منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور
بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من اباءكم او بمضمر دل عليه
المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لاباءكم فمن الناس

من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا
الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين والمراد الحث على الاكثار
والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتانا ومنحتنا
في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق اى نصيب وحظ لان
همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول
ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعنى الصحة والكفاف وتوفيق
الخير وفي الاخرة حسنة يعنى الثواب والرحمة وقنا عذاب
النار بالعفو والمغفرة وقول على رضى الله عنه الحسنة في
الدنيا المرأة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار
امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة
وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من
الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها اولئك
اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا من
جنسه وهو جزاؤه او من اجله لقوله مما خطيئاتهم اغرقوا
او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمى الدعا كسبا لانه
من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم
وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة و
يحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات
واذكروا الله في ايام معدودات كبروه ادبار الصلوة وعند

ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن
تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذى بعده اى
فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمى الجمار عندنا وطلوع
الفجر عنده فلا اثم عليه ومن تاخر في النفر حتى رمى اليوم
الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة رضى الله عنه يجوز
تقديم رميه على الزوال ومعنى نفى الاثم بالتعجيل والتاخير
التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم
المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اى الذى ذكر من
التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة
والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه
منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم
اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم
المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم
في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب
المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول
اى ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا
فانها مرادة من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك
اى يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك
في الاخرة لما يعتريه الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له

فى الكلام ويشهد الله على ما فى قلبه يحلف ويستشهد الله على
ان ما فى قلبه موافق موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد
العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون
جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل
نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى وكان حسن المنظر
حلو المنطق يوالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعى الاسلام
وقيل فى المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل
اذا غلب وصار واليا سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك
الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم
واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء
بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر
فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه
فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة
بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذى يؤمر
باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه
والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم
علم لدار العقاب وهو فى الاصل مرادف للنار وقيل معرب
ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف
للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطى للجنب ومن الناس
من

115

من يشرى نفسه يبيعها يبذلها فى الجهاد او يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر حين يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه
وقيل انها نزلت فى صهيب ابن سنان الرومى اخذه المشركون
وعذبوه ليرتد فقال انى شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم
ولا يضركم ان كنت عليكم فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى
فقبلوه منه واتى المدينة والله رءوف بالعباد حيث ارشدهم
الى مثل هذا الشرا وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة
والشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا فى السلم كافة السلم
بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق
فى الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائى وكسره
الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق
حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم
تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع
والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا
والخطاب للمنافقين او ادخلوا فى الاسلام بكليتكم
ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمنى اهل الكتاب فانهم
بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها
او فى شرايع الله كلها بالايمان بالانبيا والكتب جميعا والخطاب
لاهل الكتاب او فى شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا

بشئ والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان
بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة
فان زللتم عن الدخول فى السلم من بعد ما جاءتكم البينات
الايات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا
يعجزه عن الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون
استفهام بمعنى النفى ولذا لا جاء بعده الا ان ياتيهم الله
اى ياتيهم امره او باسه لقوله تعالى او ياتى امر ربك فجاءهم
باسنا او ياتيهم الله ببأسه فحذف الماتى به للدلالة عليه بقوله
ان الله عزيز حكيم فى ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهى ما اظلك
وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم
العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع
لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف
اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة فى
اتيان خيره امره او الاتى على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر
عطفا على ظلل الغمام وقضى الامر اتم امر هلاكهم وفرغ منه
وضع الماضى موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ
وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأ ابن
كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على انه من
الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل وبالتانيث غير

يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول
سل بنى اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السؤال
تقريعهم كم اتيناهم من اية بينة معجزة ظاهرة او اية
فى الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدى الانبياء
وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب وعلى
المفعولية او الرفع على الابتداء على حذف العائد من الخبر
واية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اى ايات
الله فانها سبب الهدى الذى هو اجل النعم بجعلها سبب
الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتاويل الزائغ
من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من
معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك
قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب
فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين
كفروا الحيوة الدنيا حسنت فى اعينهم واشربت محبتها
فى قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين
على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شئ الا وهو فاعله ويدل
عليه زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية
وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء المشتهاة
مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا يريد فقراء

المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اى يسترذلونهم ويستهزؤون
بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتدا كانهم
جعلوا مبدا السخرية مبتدئة عنهم والذين اتقوا فوقهم
يوم القيمة لانهم فى عليين وهم فى اسفل سافلين او لانهم
فى كرامة وهم فى مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون
منهم كما سخروا منهم فى الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد
قوله من الذين امنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاهم
للتقوى والله يرزق من يشاء فى الدارين بغير حساب
بغير تقدير فيوسع فى الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى
كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين ادم وادريس
او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر فى فترة
ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اى
اختلفوا فبعث وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا
فيه وعن كعب الذى علمته عدد الانبيا مائة واربعة وعشرون
الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور فى
القران باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب
يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا
يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما
كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب

اى ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس
اى الله او النبى المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه
فى الحق الذى اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما
اختلف فيه فى الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اى الكتاب
المنزل لازالة الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل الله
مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم
البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا
فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اى للحق الذى
اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا
فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدى من يشاء
الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا
خاطب به النبى والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم
على الانبيا بعد مجى الايات تشجيعا لهم على الثبات مع
مخالفتهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما
ياتكم ولم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع
ولذلك يجعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم
التى هى مثل فى الشدة مستهم البأسا والضرا بيان له على
الاستيناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم
من الشدائد حتى يقول الرسول والذين امنوا معه لتناهى

الشدة واستطالتهما المدة بحيث تقطعت حبال الصبر
وقرء نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك
مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاله لتأخره الا ان
نصر الله قريب استيناف على اضمار ارادة القول اى فقيل لهم
اسعافا لهم على طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى
ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفع الهوى
واللذات ومكابدة الشدايد والرياضات كما قال عليه
السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رضى الله عنه
ان عمرو بن الجموح الانصارى كان شيخا ذا مال عظيم
فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها
فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين
واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق
فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة
باعتباره ولانه كان فى سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا
فى الاية واقتصر فى بيان المنفق على ما تضمنه قوله
قل ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير فى معنى الشرط
فان الله به عليم جوابه ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم
كنهه ويوفى ثوابه وليس فى الاية ما ينافيه فرض الزكاة

لتنسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم
مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل
بمعنى مفعول كالخبز وقرء بالفتح على انه لغة فيه كالضعف
والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة
وعظم مشقته لقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته
كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما
كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب
فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو
جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضى
بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت
ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم
لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح
الراجحة وان لم تعرف عينها يسألونك عن الشهر
الحرام روى انه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش بن
عمته على سرية فى جمادى الاخرى قبل بدر بشهرين ليترصد
عير القريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلاثة معه
فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة
الطايف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من
جمادى فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا

يامن فيه الخايف ويبذعر فيه الى معايشهم وشق
على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا
ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن
ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغنيمة وهي اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون
كتبوا اليه تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية
قتال فيه بدل اشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير
العامل قل قتال فيه كبير اى ذنب كبير والاكثر على انه
منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا
لعطا وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى
منع دلالة الاية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا
فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا تعم وصد صرف ومنع
عن سبيل الله اى الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من
الطاعات وكفر به اى بالله والمسجد الحرام على ارادة
المضاف اى وصد عن المسجد الحرام كقول ابي دؤاد
كل امرئ تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن
عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع
منه اذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا
على الها في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون

باعادة

باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي
والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على
الظن وهو خبر عن الاشيا الاربعة المعدودة من كباير
قريش وافعل مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
والفتنة اكبر من القتل اى ما يرتكبونه من الاخراج والشرك
افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم
حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار
لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى
للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة ان استطاعوا
وهو استبعاد لاستطاعتهم لقول الواثق بقوته على
قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط
الاعمال كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة
وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان
ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من فوايد الدنيوية والاخرة
بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون كساير الكفرة ان الذين امنوا نزلت ايضا
في السرية لما ظن بهم انهم سلموا من الاثم فليس لهم اجر

والذين هاجروا وجاهدوا فی سبيل الله كرر الموصول
لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان فی تحقيق الرجاء
اولئك يرجون رحمت الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا
بان العمل غير موجب ولا قاطع فی الدلالة سيما والعبرة
بالخواتم والله غفور لما فعلوا خطا وقلة احتياط
رحيم باجزال الثواب والاجر يسالونك عن الخمر والميسر
روی انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان
عمر ومعاذ فی نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله
فی الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت الاية فشربها قوم
وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم
فشربوا فسكروا فام احدهم فقرا قل يا ايها الكافرون
اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابی
وقاص فی نفر اسكروا فتخروا وتناشدوا فانشد سعد
شعرا فيه هجا الانصار فضربه الانصاری بلحی بعير
فشجه فشكی الی رسول الله صلی الله عليه وسلم فقال عمر
اللهم بين لنا بيانا فی الخمر شافيا فنزلت انما الخمر والميسر
الی قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر

فی الا

فی الاصل مصدر خمره اذا ستره سمی بها عصير العنب
والتمر اذا اشتد وعلی كانه يخمر العقل كما سمی سكرا لانه
يسكره ای يحجزه وهی حرام مطلقا وكذا كلما اسكر عند
اكثر العلماء وقال ابو حنيفه والتمر اذا طبخ حتی ذهب
ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون المسكر والميسر ايضا
مصدر كالموعد سمی به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر
او سلب يساره والمعنی يسالونك عن تعاطيهما لقوله
قل فيهما ای فی تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدی
الی الانتكاب عن المامور وارتكاب المحظور وقرء حمزة
والكسائی كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب
المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفی
الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفر المروة وتقوية
الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما ای المفاسد التی
تنشا منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا
قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت علی المصلحة
اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر و
ويسالونك ماذا ينفقون قل سايله ايضا عمرو بن الجموح
سئال اولا عن المنفق والمصرف ثم سئال ثانيا عن كيفية
الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد وفيه يقال

للارض المسهلة العفو وهو ان ينفق ما تيسر له بذله
ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي
مودتي وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة
من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة
فاعرض عنه حتى كرره مرارا فقال هاتها مغضبا فخذفها
خذفا لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله كله
يتصدق كله به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة
عن ظهر غنى وقرا ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين
الله لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد
او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة
لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحدت
العلامة والمخاطب به جمع على تاويل القبيل والجمع لعلكم
تتفكرون في الدلايل والاحكام في الدنيا والاخرة
في امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع منها و
تتجنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما
ينفعكم ويسالونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم
والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي

مداخلتهم

اي مداخلتهم لاصلاحهم واصلاح اموالهم خير من
مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة
اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ
وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من
المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح
اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو
شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من
العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله
عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم بما يقتضيه الحكمة
وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن
من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون
لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكن
خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
روي انه عليه السلام بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج
منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهويها
في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال
بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن

استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت
ولامة مؤمنة خير من مشركة اى ولامرأة مؤمنة
حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه
ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو
بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا
ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه
ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهى
عن مواصلتهم وترغيب فى مواصلة المؤمنين اولئك
اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون
الى النار اى الكفر المؤدى الى النار فلا تليق موالاتهم و
مصاهرتهم والله اى اولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم يدعوا
الى الجنة والمغفرة اى الانقياد والعمل الموصلين اليهما
فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه اى بتوفيق الله وتيسيره
او بقضائه وارادته ويبين اياته للناس لعلهم
يتذكرون لكى يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم
التذكر لما ركز فى العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى
ويسئلونك عن المحيض روى ان اهل الجاهلية كانوا
لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس

واستمر

واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح فى نفر من
الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت
ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر يسئلونك بغير واو
ثلاثا لان السؤالات الاول كانت فى اوقات متفرقة
والثلاثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها
بحرف الجمع قل هو اذى اى الحيض شئ مستقذر مؤذ من يقربه
نفرة منه فاعتزلوا النساء فى المحيض فاجتنبوا
مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا
مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من
البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود
وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون
بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه
بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن
تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد
الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائى
وعاصم فى رواية ابن عياش يطهرن اى يتطهرن
بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فاتوهن
فانه يقتضى تاخر جواز الاتيان عن الغسل وقال
ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربها

قبل الغسل من حيث امركم الله اى المأتى الذى امركم
به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب
ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار
كمجامعة الحائض والاتيان بغير المأتى نساؤكم حرث
لكم مواضع حرث لكم شبهن بها تشبيها لما يلقى فى الارحام
من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اى فأتوهن كما تأتون
المحارث وهو كالبيان لقوله تعالى فأتوهن من حيث
امركم الله انى شئتم من اى جهة شئتم وروى ان
اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها فى قبلها
كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب
الولد وقيل التسمية على الوطى واتقوا الله بالاجتناب
عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون
به وبشر المؤمنين الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم
امر النبى صلى الله عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه
وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت فى الصديق رضى الله
عنه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضى الله
عنها او فى عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير

بن

بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة
بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشىء
او للمعرض للامر ومعنى الاية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا
لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور
المحلوف عليها كقوله عليه الصلاة والسلام لابن سمرة
اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فأت الذى هو
خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام
صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان تكون للتعليل
ويتعلق بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة
لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثانى ولا تجعلوه معرضا لايمانكم
فتبتذلوه بكثرة الحلف ولذلك ذم الحلاف بقوله عز وجل
ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهى اى انهيكم
عنه ارادة بركم وتقويكم واصلاحكم بين الناس فان
الحلاف مجترئ على الله عز وجل والمجترئ عليه لا يكون برا
متقيا ولا موثوقا به فى اصلاح ذات البين والله سميع
لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم
الساقط اللغو من الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين
ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه
كقول العرب لا والله بلى والله لمجرد التاكيد ولكن يؤاخذكم

بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما
لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من
الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو
ان يحلف الرجل على ظنه انه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم
فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيه والله غفور
حيث لم يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة
على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اى
يحلفون ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن
لما تضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن تربص اربعة اشهر
مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار
والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اى للمولى حق التلبث
في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي رحمه
الله لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاءوا رجعوا
في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولى اثم حنثه اذا
كفر او ما توخى بالايلاء من اضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي
كالتوبة وان عزموا الطلاق اى وان صمموا قصده فان الله
سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء
في اربعة اشهر لا دونها وحكمه ان المولى ان فاء في المدة بالوطء ان
قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت

بعدها

بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين
فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول
بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والاخبار ان حكم غيرهن
خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد
والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكأن المخاطب
قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله
وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد بانفسهن تهييج وبعث
لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال
فامرن ان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة قروء نصب
على الظرف او المفعول به اى يتربصن مضيها وقروء جمع
قرء وهو يطلق للحيض كقوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلاة
ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين الحيضتين كقول
الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال
من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الآية لانه الدال على براءة الرحم
لا الحيض كما قالت الحنفية لقوله عز وجل فطلقوهن
لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون
في الحيض واما قوله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان
وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة
ابن عمر فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم

تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق وان يئس فتلك
العدة التي امر الله تعالى عز وجل ان يطلق لها النسا وكان
القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتوسعون
في ذلك فيستعملون كل واحد من البنايين مكان الاخر ولعل
الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقرا تضمن معنى الكثرة
فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في
ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا
لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك
ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر ليس المراد منه تقييد
نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن
لا يجترى عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي
ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن
ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية الكريمة تتلوها فالضمير
اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر
او خصصه والبعولة جمع بعل والتا لتانيث الجمع كالعمومة
والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت
به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل
هنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا
اصلاحا وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة

بل

120

بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي
عليهن بالمعروف ولهن حقوق على الرجال مثل عليهن
في الوجوب واستحقاقه المطالبة عليها لا في الجنس
وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان
حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك
الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوامون عليهن
وحراس لهن وشاركوهن في غرض الزواج ويخصون حقوقهم
بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز غالب لا يقدر
على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم
ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنتان
لما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل اين الثالثة فقال
او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة
بعد تطليقة على التفريق ولذلك قال ابو حنيفه واصحابه
الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة فامساك بمعروف
بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح
باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين
وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا او تخيير مطلق عقب تعليمهم
كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا
اي من الصدقات روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي

بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فأتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت رسول الله عليه وسلم فقالت
لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه
في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا
اني رفعت جانب الخبا فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم
سوادا اقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت
منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الاحكام واسناد الا
خذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع وقيل
انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للاحكام وهو
يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان
وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن ان لا يقيما
حدود الله اي ترك اقامة احكامه من موجبات الزوجية
وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البنا للمفعول وابدال ان بصلته
من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب
فان خفتم ايها الاحكام ان لا يقيما حدود الله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به على الرجل فيما اخذ وعلى المرأة فيما افتدت به نفسها
واختلعت على المرأة في اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما
حد من الاحكام فلا تعتدوها بالمخالفة ومن يتعد
حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة

في

في التهديد واعلم ان ظاهر الاية الكريمة يدل على ان الخلع
لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج
اليها فضلا عن الزايد ويؤيد ذالك قوله صلى الله عليه
وسلم ايما امرأة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام
عليها رايحة الجنة وما روي انه عليه الصلاة والسلام
قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها
وازيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام اما الزايد فلا
والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه لان المنع عن العقد
لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء
واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ
او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله عز وجل فان
طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي
ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه
طلاق لانه فرقة بالاختيار فهو كالطلاق بالعوض
وقوله تعالى فان طلقها متعلق بقوله تعالى الطلاق
مرتان تفسير لقوله عز وجل او تسريح باحسان اعترض
بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة
وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له
من بعد من بعد ذالك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى

تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق
بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور
على انه لابد من الاصابة لما روى ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد
الرحمن ابن الزبير وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال
رسول الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قال لا
حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية الكريمة مطلقة
قيدتها السنة ويحتمل ان يفضى النكاح بالاصابة ويكون
العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن
التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح
بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفه رضى الله
عنه مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل و
المحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان
يتراجعا ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الاخر بالزواج
ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان
ما حده الله عز وجل وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير
الظن هاهنا بالعلم غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن
ولا تعلم وانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع
وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اى الاحكام المذكورة يبينها

يفضى صح

لقوم

يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى اخر العدة فالاجل
يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذى
به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى
اجله والبلوغ هو الوصول الى الشئ وقد يقال للدنو منه
على الاتساع وهو المراد في الاية الكريمة ليصح ان يترتب عليه
فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك
بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير اضرار او
خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة
الحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا
ولا تراجعوهن ارادة الاضرار كان المطلق يترك المعتدة
حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهى
عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او
الحال بمعنى مضارين لتعتدوا فتظلموهن بالتطويل والالجاء
الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن
يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا
تتخذوا ايات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون
في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازى
كانه نهى عن الهزؤ واراده الامر بضده وقيل كان الرجل

يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه
صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق
والنكاح والعتاق والعتقة واذكروا نعمة الله عليكم
التي من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم
بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب
والحكمة القران والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما
يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء
عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اى انقضت عدتهن وعن الشافعي رضى الله عنه دل سياق
الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن
ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روى انها نزلت في معقل بن
يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول
بالاستيناف فيكون دليلا على ان المرءة لا تزوج نفسها اذ لو
تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح
اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين
يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركوهن تتزوجن
عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم قيل الاولياء والا
زواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه
اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل

الحبس

للحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضتها
فلم تخرج اذا تراضوا بينهم اى الخطاب والنساء هو ظرف
لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه
المروة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اى
تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج
من غير كفوء غير منهي ذلك اشارة الى ما مضى ذكره و
الخطاب للجمع على تاويل القبيل او كل واحد او ان الكاف
لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين
المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم
للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره
كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر
لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اى العمل بمقتضى ما ذكر ازكى
لكم انفع واطهر من دنس الاثام والله يعلم ما فيه من
النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات
يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه
الندب او الوجوب فيختص بما اذا لم يرتضع الصبي
الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار
والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الام
فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه

لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اى ذالك
لمن يريد اراد تمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب
يجب عليه الارضاع كالنفقة والام مرضع له وهو دليل على
ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز
ان ينقص عنه وعلى المولود له اى الذى يولد له يعنى الوالد
فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة
الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه
رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف فى استيجار الام
فجوزه الشافعى رض ومنعه ابو حنيفه رض الله عنهما ما دامت
زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم
ويفى به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب
المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد
ما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها
ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اى لا يكلف كل منهما
الاخر ما ليس فى وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن
كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف
واصله على القراتين تضارر بالكسر على البنا للفاعل او الفتح على البنا
للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والبا من
صلته اى لا تضر الوالدان بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما

ينبغي

ينبغى له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف
وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها
تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق
بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغى ان يضر به
او يتضار بسببه وعلى الوارث مثل ذالك عطف على قوله
وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض
والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبى اى تمان المرضعة من
ماله اذا مات الاب وقيل الباقى من الابوين من قوله عليه السلام
واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى
رض الله عنه اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولادة عنه وقيل
وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى ليلى وقيل وارثه المحرم
منه وهو مذهب ابى حنيفه رض الله عنه وقيل عصابته
وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق
والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اى
فصالا صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل
الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة والمشورة استخراج
الرأى من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما
فى ذالك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل
وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض او اباء كقولك

نجح الله حاجتى واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول
للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على
ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع
اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى
اذا قمتم الى الصلوة وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا
اذا فعله وقرء اوتيتم اى ما اتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة
بالمعروف صلة سلمتم بالوجه المتعارف المستحسن شرعا
شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط
التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح
للطفل واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى امر الاطفال
والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا اى وازواج الذين او والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن
منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون
اجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور
والايام ولذا انهم لا يستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا
الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله
ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما والمقتضى لهذا التقدير

ان

ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان مذكرا
او الاربعة ان كان الانثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد
عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف حركته فى المبادى
فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية
فيه كما قال الشافعى رضى الله عنه والحرة والامة كما قاله
الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف
المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى
واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن على وابن
عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن
اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة
والمسلمون جميعا فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب
وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره
الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان
يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون
خبير فيجازيكم ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من
خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود
بما لم يوضع له حقيقة والايجاز كقول السائل جئتك
لاسلم عليك والكناية هى الدلالة على الشىء بذكر لوازمه
وروادفه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير
ذكر الاسم واراد ملزومه

الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة
غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب
المرءة والمراد بالنساء المعتدات للوفات وتعريضها خطبتها
ان يقول انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو
ذالك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه
تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا
تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع
توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف
دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن
نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطي لانه يسر ثم عن العقد
لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان
المعنى بالمواعدة بالسر المواعدة بما يستهجن الا ان
تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى
منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة معروفة او الا مواعدة
بقول معروف وقيل انه استثنا منقطع من سرا مواعدة
وهو ضعيف لادايه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض
وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة
وجواز تعريضها ان كانت معتدة واختلف في معتدة
الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح

وذكر

وذكر العزم مبالغة في النهي اي ولا تعزموا عقد عقدة
النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان
اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي
ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من
العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله
غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم
بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه
لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه
يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي ان
طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن وقرا حمزة
والكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القران
او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او و
تفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعولية
فعيلة بمعنى مفعول والتا لنقل اللفظ من الوصفية الى الا
سمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من
مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم
لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل
ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمي لها فلها نصف المسمى
فمنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها

يقتضي الوجوب على الجملة في الآخرتين ومتعوهن عطف
على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة
ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة
والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله
عليه السلام لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها
متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار
على الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل
ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي
لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي رضي الله عنه في احد قوليه الممسوسة
المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأ حمزة
والكسائي وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا
بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة حقا
صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين
الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى
المطلقات بالتمتيع وسماه محسنين للمشارفة ترغيبا
وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد
فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم اي فلهن او فالواجب
نصف ما فرضتم وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة

المهر

المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان
يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة
تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول
ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون
ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا
ان نصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة
النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود
اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر
بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر
بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل
الولي الذي يلي نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة
وهو قول قديم للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى
يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر
وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها
عفوا اما استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد
عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها
قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو
ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم
على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم

حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها
ولعل الامر بها في تضاعيف الاحكام الاولاد والازواج
لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنهم والصلوة الوسطى
اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا صلوة العصر لقوله
عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة
العصر ملا الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس
في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها صلوة
وسط النهار وكانت اشق الصلاة عليهم فكانت افضل
لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها
بين صلواتي الليل والنهار الواقعة في الحكم المشترك بينهما
ولانها مشهودة وقيل صلوة المغرب لانها المتوسطة من العدد
ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين
طرفي النهار وعن عايشة رضي الله عنها انه عليه السلام
كان يقرء والصلوة الوسطى وصلاة العصر فيكون
صلاة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادها
بالفضل وقرء بالنصب على الاختصاص والمدح وقوموا
لله في الصلاة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر
فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد بالقنوت
في الصبح و فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا

فصلوا

فصلوا راجلين وراكبين ورجال جمع راجل او رجل
بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلاة
حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة
لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم
وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن والشكر على
الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع وكيفية الصلاة
حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او
موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم
قرءها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص وعن
عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية
او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية وقرء الباقون
بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية
او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية
او عليهم وصية وقرء متاع بدلها متاعا الى الحول
نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية او بمتاع
على قراءة من قرأه متاع لانه بمعنى التمتع غير اخراج بدل
منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او
حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على

الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم
بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك
اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو
وان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت
النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى بها بعد ثابتة
عندنا خلافا لابي حنيفه فان خرجن عن منزل الازواج
فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن
كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا
يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد
عليها وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين
الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم
يراعي مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا
على المتقين اثبت للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها لواحدة
منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا
تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير
لكل مطلقة واول غيره مما يعم التمتيع الواجب والمستحب
وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام
للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرير القصة كذلك اشارة الى
ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته

وعد

وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام مما
يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم
تفهمونها تستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير
لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد
يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجيب
الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية
قبل واسط وقع عليهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله
ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره
او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا
حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف
اي الوف كثيرة وقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل
متالفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال
حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا
فماتوا كقوله كن فيكون فالمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد
من غير علة بامر الله تعالى ومشيئته فيهم وقيل ناداهم
به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا او تهويلا ثم احياهم
قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت
اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا
باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك

لا اله الا انت وفايدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد
والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضا
ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ونفوز
وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون
اى لا يشكرونه كما ينبغى ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والا
ستبصار وقاتلوا فى سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت
غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء
اجلهم ففى سبيل الله والا ففى النصر والثواب واعلموا ان الله
سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو
من وراء الجزاء من ذا الذى يقرض الله من استفهامية
مرفوعة الموضع بالابتدا وذا خبره والذى صفة ذا او بدله
مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا
حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا
طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله
فيضاعفه له فيضاعف اخرجه صورة المغالبة للمبالغة
وقرا عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى
فان من ذا الذى يقرض الله قرضا فى معنى ايقرض الله احد
وقرا ابن كثير فيضعّفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب
اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة

واصعافا

130

واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب
او المفعول الثانى لتضمن المضاعفة معنى التصيير او
المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع
والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت
حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كى لا يبدل حالكم
وقرا نافع والكسائى والبزى وابو بكر بالصاد ومثله
فى الاعراف فى قوله تعالى فى الخلق بسطة واليه ترجعون
فيجازيكم ما قدمتم الم تر الى الملا من بنى اسرائيل
الملا جماعة يجتمعون للمشاورة ولا واحد له كالقوم
ومن للتبعيض من بعد موسى اى من بعد وفاته ومن للا
بتداء اذ قالوا لنبى لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل
ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض
معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل
على الجواب وقرى بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين
القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف
لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا
فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن
القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما
عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرا نافع عسيتم

مكبر السنين قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد
اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي عرض لنا في ترك القتال
وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث من الاخراج عن الاوطان
والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من
العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر
وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم
وسبوا اولادهم واسروا ابناء الملوك اربعمائة واربعين
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا ثلاثمائة وثلاثة
عشر منهم بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد
لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد
بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله
فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه دون ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس
بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون
له الملك علينا من ان يكون له ذلك ويستاهل ونحن
احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا
احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد
به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقيا
او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك

وانما

انما كانت النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد
يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله
اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله
يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه
لفقره وسقوط نسبه رد عليه ذلك اولا بان العمدة
فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح
منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من
معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون
اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة
الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم
يمد يده فينال راسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الا
طلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا انه واسع
الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك
من النسب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على الله
سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه
ان ياتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه
لا يزال يرجع اليه ما يخرج عنه وليس بفاعول لقلة نحو
سلس وقلق ومن قرا بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل
من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يهد

به صندوق في التورية وكان من خشب الشمشاد مموها
بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فيه سكينة بالدزلي
من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكينة لكم وطمانينة
او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية
وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فيسكن نفوس
بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد
او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وجناحان فتان
فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه واذا استقر
يسرع
ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من ادم
الى محمد صلى الله عليه وسلم وسلم عليهم وقيل التابوت
هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه
مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية
مما ترك ال موسى وال هرون رضاض الالواح وعصى
موسى عليه السلام وثيابه وعمامة هارون وآلهما ابناؤهما
او انفسهما والال مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني
اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله
بعد موسى عليه السلام فنزلت به الملائكة وهم ينظرون
اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى
افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان
تابوت

ملك

ملك طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن
فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون
من تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم وان يكون ابتداء خطاب
من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود وانفصل بهم
عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه لكن لما
كثر حذف مفعوله صار كاللازم وروي انه قال لهم لا يخرج
معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره
ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا
ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم
معاملة المختبر مما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني
فليس من اشياعي وليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من
لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان
شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان
نبيا كما قيل او باخبار النبي عليه السلام الا من اغترف غرفة
بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة
الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان
الذين امنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير
وقرا ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا منه الا قليلا

منهم اى فكرعوا اذ الاصل فى الشرب ان لا يكون بوسط
وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا فى الشرب الا قليلا
منهم وقرء بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه
فى معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا
وقيل ثلثة الاف وقيل الفا وروى ان من اقتصر على الغرفة كفته
لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت
شفته ولم يقدر ان يمضى وهكذا الدنيا لقاصد الاخرة
فلما جاوزه هو والذين امنوا معه اى القليل الذين
لم يخالفوه قالوا اى بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت
وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله
اى قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا
ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل
هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير فى قالوا للكثير المنخذلين
عنه اعتذارا فى التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا
والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن
الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الاستفهام والخبر ومن مزيدة
او مبينة والفئة الفرقة من الناس من فأوت راسه
اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله
مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده

اى

اى ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاوا الى الله بالدعا
وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر فى قلوبهم
الذى هو ملاك الامر ثم ثبات القدم فى مداحض الحرب
المسبب منه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم
باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم
اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشى فى عسكر
طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان
صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذى يقتل جالوت
فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه فى الطريق ثلاثة احجار وقالت
له انك بنا تقتل جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله
ثم زوجه طالوت بنته فاتاه الملك اى ملك بنى اسرائيل ولم
يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء
كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل
على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر
المسلمين على الكفار ويكف فسادهم لغلبوا وافسدوا فى الارض
او لفسدت الارض بشومهم تلك ايات الله اشارة الى ما
قص من حديث الالوف وطالوت واتيان التابوت وانهزام

بالجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق اى
بالوجه المطابق الذى لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ
وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع
تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة وقصصها فى السورة او
المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا
بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره
منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى عليه السلام وقيل
هو ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة وفى الطور
ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون
بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه
ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات
بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة
وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خص بالدعوة العامة
والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة
بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة
للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا
الوصف المستغنى عن التعيين وقيل ابراهيم عليه السلام
خصصه بالخلة التى هى على المراتب وقيل ادريس لقوله
تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل

واتينا

واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس
خصصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى تحقيره
وتعظيمه وجعل معجزاته سبب التفضيل لانها ايات واضحة
ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى
الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من
بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم فى
الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من
امن بتوفيقه التزام دين الانبيا تفضلا ومنهم من كفر
لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد
ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من
يشاء عدلا والاية دليل على ان الانبيا متفاوتة الاقدام وانه
يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن
فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيته خيرا
كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين امنوا انفقوا مما
رزقناكم مما وجبت عليكم انفاقه من قبل ان ياتى يوم
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتى يوم لا تقدرون
على تدارك على ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون
ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم
عليه اخلائكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن

ورضي له قولاً حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط
ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم
لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة
وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون
هم الظالمون يريد والتاركون للزكاة هم الذين ظلموا
انفسهم اذ وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه
على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا
وتهديدا كقوله تعالى ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان
ترك الزكوة من صفات الكفار كقوله وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدأ وخبره والمعنى انه المستحق
للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل
في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر
وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة
والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه
فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام القيم
لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم
قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه
سنة وليس بنائم والنوم حال يعرض الحيوان من استرخاء
اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث

تقف

تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة
عليه اي على النوم وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود
والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لقوله لكونه حيا قيوما فان
من اخذه نعاس او نوم كان مئوف الحيوة قاصرا في الحفظ
والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة التي بعده
له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج
على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في
حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له
السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا
باذنه بيان لكبرياء شأنه وانه لا احد يساويه او يدانيه
يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا
ان يعاوقه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل
المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا والاخرة وعكسه
او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه
والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل
عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشيء
من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على
ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام

الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض
تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل
كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم
او الملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا
محيط بالسموات والارض السبع لقوله عليه السلام ما ا
السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة
في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على
تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في
الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد
وكانه منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤده ولا ما
خوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظه
السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول
وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر
بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على
امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد
في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود بذاته موجد لغيره
اذ القيوم وهو القايم بنفسه المقيم لغيره منزه عن

التحيز

التحيز والحلول مبرء عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح
ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع
الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده
الا من اذن له عالم الاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها
واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده
شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به
فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم اية في القران
اية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته
ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ
اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول
الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن
قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى على نفسه وجاره
وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه
في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه قوله
ان عليك الا البلاغ ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز
الايمان عن الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلائل على ان
الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي
الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه
الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة فلم يحتج الى الاكراه

والالجاء وقيل اخبار عن معنى النهي اى لا تكرهوا في الدين
وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روى ان انصاريا
كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما
ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت **فمن يكفر بالطاغوت**
بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد
عن سبيل عبادة الله فعلوت من الطغيان قلبت عينه
ولامه **ويؤمن بالله** بالتوحيد وتصديق الرسل **فقد
استمسك بالعروة الوثقى** طلب الامساك من نفسه بالعروة
الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك المحق
من النظر الصحيح والرأي القويم **لا انفصام لها** لا انقطاع
لها يقال فصمته اذا كسرته **والله سميع** بالاقوال **عليم**
بالنيات ولعله تهديد على النفاق **الله ولي الذين امنوا**
محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت
في علمه انه يؤمن **يخرجهم** بهدايته وتوفيقه **من الظلمات**
ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه
المؤدية الى الكفر **الى النور** الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة
خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول

او

او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية **والذين كفروا
اولياؤهم الطاغوت** اى الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان
وغيرهما **يخرجونهم من النور الى الظلمات** من النور
الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد او الانهماك
في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات
وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج
الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يأبى تعلق قدرته تعالى
وارادته به **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**
وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين
تعظيم لشأنهم **الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه**
تعجيب من محاجة نمرود وحماقته **ان اتاه الله الملك**
لان اتاه اى ابطره ايتاء الملك واورثه الكبر والعجب
والعتو فحاج لذلك او حمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا
له على طريقة العكس كقولك لانى احسنت اليك او وقت
ان اتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر
من المعتزلة **اذ قال ابراهيم** ظرف لحاج او بدل من ان
اتاه على الوجه الثاني **ربي الذي يحيي ويميت** بخلق
الحيوة والموت في الاجساد وقرأ حمزة ربْ بحذف الياء
قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل [illegible]

نافع انا بالالف قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس
من المشرق فات بها من المغرب اعرض ابراهيم عن
الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر
فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة
عدول عن المثال الخفي الى مثال جلي من مقدوراته التي
يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود
زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله تعالى فنقضه
ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او
اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه
اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال من ربك الذي تدعوا اليه
وحاجه فيه فبهت الذي كفر وصار مبهوتا وقرئ
فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم
الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول
الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة
او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره
او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه
بحرف التشبيه لان المنكر للاحيا كثير والجاهل بكيفية
اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف
مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر

وقيل

وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج
او كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا
لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله
الذي هو عزير بن شرخيا او الخضر او كافرا بالبعث
ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه
بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل
غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية
على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها
قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور
عن معرفة طريق الاحيا واستعظاما لقدرة المحيي ان كان
القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب
على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة
عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته الله فلبث ميتا
مائة عام ثم بعثه بالاحيا قال كم لبثت القائل هو الله
تعالى وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه امن بعد البعث
او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما
او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد
المائة قبل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم
التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب

قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك
لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة
والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان
قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحماء المسنون
فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما
افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل
كان طعامه تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان
الكل على حاله وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه
او انظر اليه سالما كما في مكانه كما ربطته حفظناه
بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير
والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك اية للناس
اي وفعلنا ذلك لنجعلك اية للناس روي انه اتى
قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا التورية من
الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو
ابن الله وقيل لما رجع الى منزله وكان شابا واولاده
شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة
وانظر الى العظام يعني عظام الحمار والاموات الذي
تعجب من احيائهم كيف ننشرها كيف نحييها او نرفع
بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب

ننشر

بننشر والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من
انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر
ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر
يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على
كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين له
ما اشكل عليه وقرا حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والامر
مخاطبته او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت
واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سال
ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي
واميت قال له ان الاحياء برد الروح الى بدنها فقال
نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل
الى تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه ليطمئن قلبه على
الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن بانه
قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك
وقد علم انه اعرف الناس في الايمان فيجيب بما اجاب فيعلم
السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
اي بلى امنت ولكن سالت لازيد بصيرة وسكون قلب

بمضامة الاعيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ
اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة
ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء
النفس بالحيوة الابدية انما يتاتى ذلك باماتة حب
الشهوات والزخارف الذي صفة الطاوس والصولة
المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف
بها الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما
الحمامة وانما خص الطير لانها اقرب الى الانسان واجمع
لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن
اليك فاملهن واضممهن اليك ليتاملها وتعرف
شياتها لئلا يلتبس عليك بعد الاحيا وقرا حمزه ويعقوب
فصرهن وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها
وقال لها صيد الاعناق فهم جبلة وفرع يصير الجيد
وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن
بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره اذا جمعه
فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال
التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة وقرا ابو بكر
جزءا وجزؤ بضم الزاء حيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين

باذن الله تعالين

باذن الله تعالى ياتينك سعيا ساعيات مسرعات
طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها
ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها
على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير
الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن
وفيه اشارة الى من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية
فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج
بعضها على بعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه
مسرعات متى دعاهن بداعية العقل والشرع وكفى
لك شاهدا على فضل ابراهيم ويمن الضراعة في الدعاء
وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان
يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته
مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم
ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت
اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر
حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة
لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت

على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق
يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها
مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون
في الذرة وفي البر في الارض المغلة والله يضاعف
تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال
المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تفاوتت
الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه
ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر
انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم
لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان
فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها
وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي باربعة الاف
درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن
اليه والاذى ان يتطاول بسبب ما انعم عليه وثم
للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
لعله لم تدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه
معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا
فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف ورد جميل

ومغفرة

ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاجة او نيل مغفرة
من الله برد الجميل او عفو عن السائل بان يعذره
ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر
عنهما وانما صح الابتداء بالابتداء بالنكرة لاختصاصها
بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم
عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين
امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
اي لا تحبطوا اجرها بكل واحد منها كالذي
ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم
الاخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد
به رضاء الله تعالى ولا ثواب الاخرة او مماثلين
الذي ينفق رياء فالكاف في محل النصب على المصدر
او الحال ونصب رياء نصب على المفعول له او الحال
بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا رياء فمثله اي
فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس
عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه
صلدا يعني املس نقيا من التراب لا يقدرون على
شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رياء ولا يجدون

ثوابه والضمير للذى ينفق باعتبار المعنى لان المراد به
الخبر والجمع كما فى قوله وان الذى حانت بفلج دماؤهم
هم القوم كل القوم يا ام خالد والله لا يهدى القوم
الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء
والمن والاذى على الانفاق من صفة الكافرين ولا بد
للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم
ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا
بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق روح فمن
بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل
ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا
للجزاء مبتدئا من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة
الانفاق للمنفق تزكية للنفس عن البخل وحب المال
كمثل جنة بربوة اى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكاة كمثل بستان
بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى
ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر
وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت
اكلها ثمرتها وابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون
للتخفيف ضعفين مثلى ما كانت بسبب الوابل والمراد

بالضعف

بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد فى قوله من
كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال
اى مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اى فيصيبها او فا
الذى يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة
هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر
والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال
وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله
ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله تعالى بالجنة
على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين
فى زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير
تحذير عن الرياء وترغيب فى الاخلاص ايود احدكم
الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل
واعناب له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما
مع ما فيها من ساير الاشجار تغليبا لهما لشرفهما
وكثرة منافعهما ثم ذكر انها محتوية على كل الثمرات
ليدل على ساير انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد
بالثمرات المنافع واصابه الكبر اى كبر السن فان
الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب والواو للحال
او للعطف على المعنى (على ان يكون) وكانه قيل ايود احدكم لو كانت له

جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء لاقدرة
لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت
عطف على اصابه او يكون باعتبار المعنى والاعصار
ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة
كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة
ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء فى الحسرة والاسف
اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها
محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال
سره فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت
ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور فالتفت الى ما سوى
الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذالك يبين الله
لكم الايات لعلكم تتفكرون اى تتفكرون فيها
فتعتبرون بها يا ايها الذين امنوا انفقوا من
طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا
لكم من الارض اى ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب
والثمر والمعادن فحذف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث
منه اى ولا تقصدوا الردى منه اى من المال او مما
اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ
ولا تاتمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال
لاتقصدوا

مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون
الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم باخذيه اى
وحالكم انكم لا تاخذونه فى حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا
فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه
وقرئ تغمضوا اى تحملوا على الاغماض وتوجدوا مغمضين وعن
ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه
واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم وانما يامركم وعن
به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم
الفقر فى الانفاق والوعد الاصل شايع فى الخير والشر
وقرئ الفقر بالضم والسكون وفتحتين ويامركم
بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمى البخيل فاحشا
وقيل المعاصى والله يعدكم مغفرة منه اى يعدكم فى الانفاق
مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم فى
الدنيا والاخرة والله واسع اى واسع الفضل
لمن انفق عليم بانفاقه يؤتى الحكمة تحقيق العلم
واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام
بالمفعول الثانى ومن يؤت الحكمة بناه للمفعول لانه
المقصود وقرئ يعقوب بالكسر اى من يؤته الله فقد
اوتى خيرا كثيرا اى اى خير كثير اذ خير له فى الدارين

وما يتذكر وما يتعظ بما قص من الايات او ما يتفكر
فان المتفكر كالمتذكر لما اودعه الله تعالى فى قلبه من
العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوى
العقول الخالصة من شوائب الوهم والركون الى متابعة
الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية
فى حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط فى طاعة
او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين
الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها او يمنعون
الصدقات ولا يوفون النذور من انصار من
ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات
فنعما هى فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائى بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو
عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين
وروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو
اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اى تعطوها
مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا فى
التطوع ومن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض
لغيره افضل لنفى التهمة عن ابن عباس صدقة السر
فى التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة

الفطر الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة
وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم وقرأ ابن
عامر وعاصم فى رواية حفص بالياء اى والله يكفر او الاخفاء
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عباس
ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة
او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اى ونحن نكفر
وقرأ نافع وحمزة والكسائى به مجزوما على محل الفاء وما
بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله
بما تعملون خبير ترغيب فى الاسرار ليس عليك هداهم لا
يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد
والحث على المحاسن والنهى عن القبائح كالمن والاذى
وانفاق الخبيث ولكن الله يهدى من يشاء تصريح بان الهداية
ومشيئته وانما تختص بقوم دون قوم وما تنفقوا
من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم
لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما
تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال كانه قال وما تنفقوا من
خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله
وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اى وليس نفقتكم
الا ابتغاء وجه الله فما لكم تمنون بها وتنفقون

الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف
اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية
السابقة وما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه
السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي
ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في
انشئة وكوى
اليهود وكانوا ينفقون فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم
فنزلت وهذا في غير الواجب اما في الواجب فلا يجوز صرفه
للكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم
للفقراء متعلق بمحذوف اي عمدوا للفقراء واجعلوا
ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا
في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لا
تشغلهم به ضربا في الارض ذهابا في الارض للكسب
وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء
المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون
اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية
يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم [illegible]
اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال
من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول لكل احد
لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم

المسئول

المسئول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي
اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا
للضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب
لا يهتدى بمناره ونصب على المصدر فانه كنوع من السؤال
او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب
للانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الا
وقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر الصديق تصدق
باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة
بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله لم يملك الا اربعة
دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا
ودرهم علانية وقيل ربط الخيل في سبيل الله والانفاق
عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون جزاء للذين ينفقون والفاء للسببية وقيل
للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذا لا يجوز
الوقف على وعلانية الذين يأكلون الربا اي الاخذون
له وانما ذكر الاكل لانه اعظم المنافع المال ولان الربا
شايع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع
مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان
وغيره
درهم

يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتبت بالواو
كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها
تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام
المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط
الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشوا
من المس اي الجنون وهو ايضا من زعماتهم ان الجن يمسه
فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا
يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربا
او بيقوم او يتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله تعالى اربى في بطونهم
ما اكلوا من الربا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع
مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا اي ذلك العقاب
بسبب انهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لافضائهما
الى الربح فاستحلوا استحلاله وكان الاصل انما الربا
مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربا
اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى
درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي
درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع

رواجها

رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم
الربا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضة
النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ
من الله وزجر كالنهي عن الربا فانتهى فاتعظ
وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا
يسترد منه وما في موضع الرفع ان جعلت من موصولة
وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه والموصول
فيه غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان
كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في
شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربا
اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لانهم كفروا يمحق الله الربا يذهب ببركته ويهلك
المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف
ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام
ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره
وعنه ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا
يرضى ولا يحب محبة للتوابين كل كفار مصر على تحليل
المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله
ورسله وبما جاءهم عنه وعملوا الصالحات واتوا

الزكوة عطفهما على ما يعمّهما لانافتهما على ساير
الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم من آتٍ ولا هم يحزنون على فائتٍ يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا
بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين
بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روى انه كان لثقيف
مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا
فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله
اى فاعلموا بها من اذن بالشئ اذا علم به وقرء حمزة وعاصم في
رواية ابن عياش فآذنوا اى فاعلموا بها غيركم من الاذن
وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم
وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء
الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روى انها لما نزلت قالت
ثقيف لا يدى لنا بحرب من الله ورسوله وان تبتم
من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون
بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم لم يتوبوا فليس لهم
راس مال وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل
مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة وان وقع غريم
ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اى وان كان الغريم ذا عسرة

فنظرة

فنظرة فالحكم اى فعليكم نظرة او فليكن نظرة وقرئ فناظرة
على الخبر اى فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته
على طريقة النسب وعلى الامر اى فسامحه بالنظرة الى ميسرة
يسار وقرء نافع بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة
وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك
عد الامر الذى وعدوا وان تصدقوا بالابراء وقرء عاصم بتخفيف
الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذون
لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله
عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل
يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر
الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم
الموت فتأهبوا لمصيركم اليه وقرء ابو عمرو ويعقوب بفتح
التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من
خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وعقب وتضعيف
عقاب عن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبرئيل وقال ضعها
في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعدها احدى وعشرين يوما وقيل احدى وثمانين
وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين امنوا
اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا يقول داينته اذا

اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين ان لا
يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه
الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى
معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه
لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن
ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلم
وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد
ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب
فقيه دين حتى يجي مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب
كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله
مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس
بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله
اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء
عنها تأكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي
عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي
عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه
والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب
ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما املى عليه
فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا

او

او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو
او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة
فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من
قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان
غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله
مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين
واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من
رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه
ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار
بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكونا
يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد او فالمشهد
فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا
وما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون
من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احداهما فتذكر
احداهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احداهما
ان ضلت الشهادة بان نسيها ذكرتها الاخرى والعلة في
الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل
منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه
قيل ارادة احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان

عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر
بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا
شهداء تنزيلا لما اشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا
تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم
ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم
عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول
المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا
او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله
الذى اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط
عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون
على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس
او من قاسط وقويم بمعنى ذى قسط وقويم وانما صحت الواو
فى اقوم كما صحت فى التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا
واقرب فى ان لا تشكوا فى جنس الدين وقدره واجله والشهود
ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها فليس عليكم
جناح ان لا تكتبوها استثناء من الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة
تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها
يدا بيد اى الا ان تتبايعوا فلا بأس ان لا تكتبوه لبعده

عن

عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر
والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة
كقوله بنى اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب
اشنعا ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها
او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع
او مطلقا لانه احوط والاوامر التى فى هذه الاية للاستحباب
عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف فى احكامها
ونسخها ~~عن ترك الاجابة~~ ولا يضار كاتب ولا شهيد
يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر
والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير
فى الكتابة والشهادة او النهى عن الضرار بهما مثل ان
يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى
الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان
وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم
خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله فى مخالفة امره
ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم
والله بكل شىء عليم كرر لفظة الله فى الجمل الثلاث
لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية
وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه ادخل فى

في التعظيم من الكتابة وان كنتم على سفر اى مسافرين
ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذى يستوثق
به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا
التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد
والضحاك ولانه عليه السلام رهن درعه في المدينة من
يهودى بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة
التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتب في السفر
الذى هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه
غير مالك وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما
جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف
فان امن بعضكم بعضا اى بعض الدائنين بعض المديونين
واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذى اؤتمن
امانته اى دينه سماه امانة لايتمانه عليه بترك الارتهان
به وقرئ بقلب الهمزة ياء والذى ايتمن بادغام اليا في
التاء وهو خطا لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم
وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات
ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم
على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه يأثم قلبه او قلبه
يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان

يقترفه

يقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة
فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن
الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه
وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد
لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يعنى ما فيها من السوء والعزم عليه
ليترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم
القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض
فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه
وهو صريح في نفى وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن
عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون
على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا بدل
البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تاتنا تلمم
بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الراء
في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في مثلها والله على كل شيء قدير
فيقدر على الاحياء والمحاسبة امن الرسول بما انزل اليه
من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد
به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل امن
بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف

المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه
التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدا
فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل
بخبره خبر المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه
او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر و
استدلال وقرء حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن
او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شايع في وحدات
الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر
من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون
لا نفرق وقرء يعقوب لا يفرق بالياء على ان
الفعل لكل وقرء لا يفرقون حملا على معناه لقوله وكل اتوه
واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي
كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك
دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب
وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا
اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع
بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا
الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون
مدى طاقتها بحيث تتسع فيه طاقتها طوقها وتيسر عليها

كقوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر فهو يدل
على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه
لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع
بطاعتها ولا يتضرر بمعصيتها غيرها وتخصيص
الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه
اعمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه وكانت
اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطانا فكل شيء ... نا مما ادى بنا الى نسيان
او خطاء من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما
او لا يمتنع المؤاخذة بها عقلا فان الذنوب كالسموم
فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ
فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم
يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا
فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة
النعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم
رفع عن امتي الخطا والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا
عبئا ثقيلا يا ضر صاحبه اي يحبسه في مكانه
يريد به التكاليف الشاقة وقرء ولا تحمل بالتشديد
للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك

اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا
والمراد به ما كلف به بني اسرائيل من قتل الانفس وقطع
موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة
وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد
والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء
والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة
البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا
لما سئل التخلص عنه والتشديد ها هنا لتعدية الفعل
الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر
عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا
وتفضل علينا انت مولينا فانصرنا على القوم الكافرين
فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء المراد به
عامة الكفرة وروي انه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات
قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله ايتين من
كنوز الجنة كتبها الرحمن بيده قبل ان يخلق الجنة بالفي
سنة من قرءهما بعد العشاء الاخيرة اجزاتاه عن قيام
الليل وعنه عليه السلام من قرا الايتين من اخر سورة
البقرة في كل ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال
سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي تذكر فيها

البقرة كما قال عليه السلام السورة التي تذكر فيها البقرة
فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها
حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال
السحرة

سورة آل عمران مائتان اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو انما فتح
الميم في المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء
حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها
اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف
كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير
محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ
بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرا ابو
بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم
روي عنه عليه السلام قال ان اسم الله الاعظم
في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي
آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت
الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القران نجوما بالحق
بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من
عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه
من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى

واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف
لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة
وهو ليس من ابنية العرب من قبل من قبل تنزيل
القران هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون
بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان
يريد بعض الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل
ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عداها كانه قال
وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور
او القران وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما
واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما
في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين
المحق والباطل والمبطل والمعجزات ان الذين كفروا بايات
الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب
كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام
لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه
نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد
والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر
وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في
الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا او جزئيا

ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجا
وزهما وانما قدم الارض مترقيا من الادنى الى الاعلى
ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو
كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في
الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل
على كونه قيوما والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق
الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه
ولعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولم
يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته
وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان
ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا لما
احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك
الكتاب منه ايات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت
عبارتها من الاجمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها
والقياس امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة
اية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها
لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها
فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها

وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها
فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها
والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات
واما قوله الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت
من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها
فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ
اي عظم اللفظ
اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف
معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه
ان القياس ان يعرف ولم يعرف لانه في معنى المعرف او عن
اخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق
كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون
بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان
يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس
ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله اي وطلب
ان ياولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الا
تباع مجموع الطلبتين وكل واحد منهما على التعاقب
والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما
يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون
في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن الاعداد

ووقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص صح

كعدد

كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد
ولم يدل على ما هو المراد يقولون امنا به استيناف موضح
لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدا كل
من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما
يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن
النظر واشارة الى ما استعدوا به من الاستعداد للاهتداء
الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الاية
بما قبلها من حيث انها في تقرير الروح بالعلم وتزيينه
وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب
عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم
وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين
ان يكون جوابا مصورا الاجنة كيف يشاء فيصور من
نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور
لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين
وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى
اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن
ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه
على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبتلنا ببلايا
تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين

وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافة اليه وقيل
انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز
بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك
انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال
من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء
ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه
لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا
به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة
فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية
تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب
واستدل به الوعيدية واجيب بان الفساق مشروط
بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو المشروط بعدم التوبة
وفاقا ان الذين كفروا عام للكفرة وقيل المراد به وفد نجران
او اليهود او مشركو العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او من طاعته
على معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار
حطبها وقري بالضم بمعنى اهل وقودها كداب ال فرعون
متصل بما قبله اي لن تغني اموالهم عنهم كما لم تغن عن
اولئك او يوقد بهم كما يوقد باولئك او استيناف

مرفوع

مرفوع المحل وتقديره داب هؤلاء كداب هم في الكفر والعذاب
وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى
الشان والذين من قبلهم عطف على ال فرعون وقيل
استيناف كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم
حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان
ابتدات بالذين من قبلهم والله شديد العقاب
تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي
مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه
السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم
ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت
اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلنا لعلمت انا نحن
الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة
واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من
عداهم وهو من دلائل النبوة وقرا حمزة والكسائي
بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به
من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او
استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه
لانفسهم قد كان لكم اية الخطاب لمن لقريش او اليهود

وقيل للمومنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل
في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى
المشركون ان المومنين مثلى عدد المشركين وكانوا
قريب الف او مثلى عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة
وبضعة عشر وذالك بعد ما قللهم في اعينهم حتى
اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا
في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمومنين او يرى
المومنون المشركين مثلى المومنين وكانوا ثلاثة امثالهم
ليثبتوا ويتيقنوا بالنصر الذى وعدهم الله في قوله
وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده
قرءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول
اى يريهم او يريكم ذالك بقدرته وفئة بالجر على البدل
من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل
التقتا رأي العين رؤية ظاهرة والله يؤيد بنصره
من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذالك اى التقليل
والتكثير او غلبة القليل على الكثير الشاكي السلاح وكون
الوقعة ايطالية يحتملهما ويحتمل وقوع الامر
على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولى الابصار اى لعظة
لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب

٧ عديم العدة

الشهوات اى المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء
على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهواتها كقوله احببت
حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي
ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية
اذا كان على وجه يرتضيه الله ولانه من اسباب التعيش
وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض الذم وفرق
الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة
الف دينار وقيل ملا مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال
والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة
المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة
وسومها او المطهمة والانعام والابل والبقر والغنم ذالك
متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن
الماب اى المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من
اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية
قل اؤنبئكم بخير من ذالكم يريد به التقرير ان ثواب الله
خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان

ماهو خير ويجوز ان يتعلق الّلام بخير وترتفع جنات
على هو جنات ويؤيد قراءة من جرّها بدلا من خير وازواج
مطهرة مما يستقذر من النسا ورضوان من الله قراءة عاصم
بضم الرا في رواية ابي بكر في جميع القران وهما لغتان
والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب
المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات
وقد نبّه بهذه الاية على نعمه فادناها متاع الدنيا
واعلاها رضوان من الله اكبر واوسطها الجنة
ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا
ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او
مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان
دليل على انه كان في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها
الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين و
والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على
احسن الترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب
والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها
على الفضائل والصبر يشملها واما بالبدن وهو اما قولي وهو
الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة
واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار

لان



نه قدر دور ایسه وجها بنه قلبا بیله دور
یوسفک سلطنتی حسرت یعقوب ایله دور